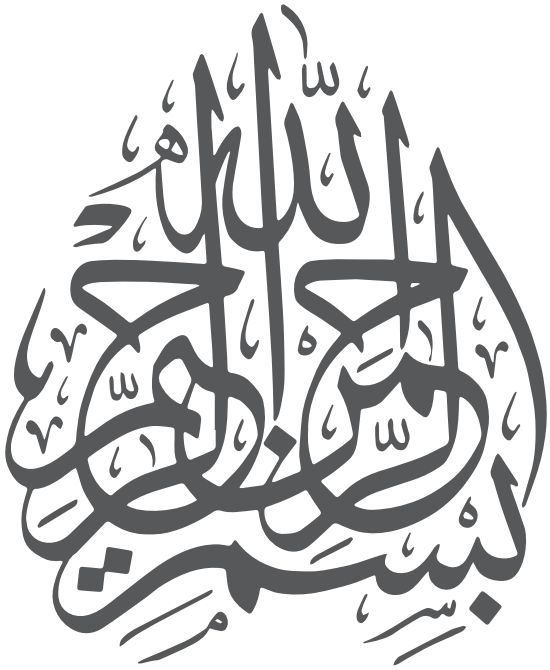
بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: النهضة الحسينية اصلاح وتغيير

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية / قسم النشر

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

ISBN:978-9922-680-45-3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣٥) لسنة ٢٠٢٣

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.
النهضة الحسينية اصلاح وتغير .-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، ١٤٤٤ هـ = ٢٠٢٣.
مجلد ؛ ٢٤ سم [سلسلة اهل البيت عليهم السلام ؛ ٢]
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٢٥٤٥٤
١. الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، 61-4 هجري. – بحوث.٢. معركة كربلاء، ٦١ هـ. أ. العنوان.

LCC : BP193.13 .A836 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

سلسلة

أهل البيت (٢)

النهضة الحسينية

إصلاح وتغيير

المحتويات

٧	النهضة الحسينية ومقومات النصر القيمي	السيد يوسف شفيق البيومي
٤٧	الانتفاضة الحسينية وتحرير الناس من الاستبداد والاستعباد	أ.د. سيد جواد ورعى
٧٥	التداول السلمي للسلطة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام	د. ميثم مهدي صالح الحمامي
٩٥	دور النهضة الحسينية في التغير الاجتماعي تحليل سوسيولوجي	أ.م.د بشير ناظر حميد
١٠٩	مفهوم الإصلاح في النهضة الحسينية وأهمية تطبيقه في التربية والتعليم	م. إنعام إسماعيل طاهر

كلمة الجمعية

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا الاكرم محمد بن عبدالله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين .. أَما بعدُ

ان البحث والدراسة في تاريخ نبي الرحمة الاكرم ﷺ وسيرته العطرة وأهل بيته الطيبين الطاهرين المطهرين ﷺ ، بمثابة البحث في جوهر الحياة الإنسانية ، الذي يبث الحياة في الفكر المجتمعي الإسلامي ، ويسهم في تشكيل روح الايمان الصادق والملتزم والمنسجم مع أهداف حياتنا ومضامينها ورسائلها ودستورها المتمثل بالقران الكريم ، على وفق النهج الإسلامي القيم ، وعلى وجه الخصوص الدراسات التاريخية التي تناولت النهضة الحسينية في مختلف أبعادها الاجتماعية والفكرية والسياسية .

لذا اهتمَّ قسم النشر في جمعية العميد الفكرية والثقافية بجمع بعض الدراسات والبحوث المميزة في موضوعات النهضة الحسينية المباركة ودورها في المجتمع الإنساني، لنشرها في ضمن الاصدار الثاني من سلسلة كتاب أهل البيت عليهم السلام الذي وُسِم بعنوان : (النهضةُ الحسينيةُ إصلاحٌ وتغييرٌ) ؛ بوصفها نهضة عالمية ، كبرى ، يستلهم منها القراء الاكارم ، الحكمة والموعظة الحسنة .. فجاء الاصدار حاوياً موضوعات عديدة ، منها دراسة عن مقومات النصر القيمي في النهضة الحسينية ، التي سلطت الضوء على المقومات الفكرية التي أسهمت في انتصار قيم الحق على الباطل.. و دراسة أخرى ، اهتمّت ببيان أثر النهضة الحسينية في تحرير الانسان من الاستبداد والاستعباد ، كاشفة بذلك عن الواقع الاستبدادي السياسي الاموي آنذاك ، معتمدةً على شواهد وأحداث التاريخ .

وتضمَّن الاصدار الثاني دراسة مفهوم التداول السلمي للسلطة في نهضة الإمام المعصوم الإمام الحسين بن علي عليه السلام من خلال عرض النصوص التاريخية للنهضة المباركة في هدي القوانين التي سنها العقل الإنساني المسلم ، وصولاً إلى أثر النهضة في التغير الاجتماعي على وفق منظور سوسيولوجي ، وتضمَّن دراسة مفهوم الإصلاح في النهضة الحسينية وأهمية تطبيقاته في التربية والتعليم ؛ لكون النهضة الحسينية من أهم الثورات الإصلاحية التي طالبت ومازالت تطالب بالإصلاح في الأمة والحرية والكرامة في العيش والتعايش السلمي .

ونرجو من الله تعالى ان يتقبل هذا العمل القليل من الجمعية في حق امامنا المعصوم الإمام الحسين ﷺ ونهضته المباركة وان ينال هذا الاصدار رضا القارئ الكريم ، ومن الله التوفيق .

أ.د. شوقي الموسوي

عضو جمعية العميد العلمية والفكرية

النهضة الحسينية

ومقومات النصر القيمي

السيد يوسف شفيق البيومي
ماجستير حقوق في القانون العام
الجامعة الإسلامية / لبنان.

ملخص البحث

حين خلق الله سبحانه الأرض، وبرأ النسمات، وأقام السماوات، ودحا الأرض، وخلق الإنسان وجعله خليفته فيها، وسبب له الأسباب والمقومات الأساسية التي يحتاج إليها لكي يحيا فيها، ويمشي في مناكبها، وأراد له الكمال في كل الصعد النفسية، والتربوية، والأخلاقية، والحياتية، والصحية، والجسدية..الخ

فما كان منه عز وجل إلا أن أرسل للبشرية على مر تاريخها، الهداة المهديين، والرسل المختارين، وختم بأعظم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وجعل من يخلفه في هذه المهمة من الأوصياء المنتجبين، اثني عشر إماماً، أو خليفة «كلهم من قريش»[1].

وإن النظر والبحث في تاريخ وسيرة النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام لا يقاس به أي تاريخ آخر وذلك يعود إلى «حساسيته وأهميته وتأثيراته على مختلف مناحي الحياة الإنسانية أي تاريخ لأي شخص، أو أية فئة مرت في أي مجال في تاريخ البشر العام قديمه، وحديثه.

لأنه يمس جوهر الحياة الإنسانية في الصميم، ولأن نجاح البشر، وسعادتهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومصيرهم في الدنيا والآخرة مرهون بمدى استفادتهم، وطبيعة تفاعلهم مع هذا التاريخ ..

وذلك لأن نبينا الأكرم ﷺ هو خاتم الأنبياء ووارثهم [وأوصياءه هم آخر الأوصياء]، والمسؤول عن استثمار كل جهودهم وتضحياتهم، وتحويلها إلى واقع عملي فاعلٍ، يبعث الحياة والحركة في كل فكرِالأمة ومشاعرِها وعواطفها. ويسهم في تكوين خصائصها الإنسانية، ويثير فيها روح الإيمان، ويجسد في واقعها القيم الأخلاقية، ويرسم كل سماتها الحية، والفاعلة في مختلف جوانب شخصيتها، ويثير الحركة والحياة والطموح في أفرادها وجماعاتها وسائر مكوناتها، وينسج علاقاتها، ويحدد موقعها وأهدافها، ومسارها، ومصيرها.

ليكون ذلك وفق النهج الإسلامي القويم، وبوهج إيماني صادق، والتزام حازم وصارم، بما يفرضه هذا المسار، مع وضوح في الرؤية، وسلامة في النظرة، ووضع للأمور في نصابها الصحيح، والتعامل معها بواقعية وصدق وإخلاص»[2].

وبعد هذا كله، ففي النظر في نهضة الإمام الحسين ﷺ دور لا يمكن لأحد أن ينكره، أو أن يتغاضى عنه فيما يرتبط في تأثير تلك النهضة في المجتمع الإسلامي، وما أرسته من مقومات عدّت أساسية في انتصار القيم.

وانطلاقاً من هنا، لا بد لأي باحث أراد الخوض في غمار البحث عن النصر القيمي وقبل تبيان ما هي المقومات التي ساعدت على انتصار هذه القيم، هذا أولاً. عليه تحديد هذه القيم التي يركن لها البشر.

ثانياً: إظهار المفاصل الأساسية والمقومات الموجودة في تلك النهضة والتي اسهمت في انتصار هذه القيم.

لذلك، سوف ينقسم البحث الذي بين أيدي القارئ الكريم إلى قسمين:

الأول: القيم وتعريفها.

الثاني: مقومات انتصارها.

فإلى ما يلي من مطالب، متوكلين على المولى عز وجل، ومصلين على النبي وآله..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على عباده الذين اصطفى محمد وآله المنتجبين..

أما بعد..

القيم وتعريفها:

تُعرف لغةً أنها جمعٌ لكلمة قيمة، وقيل: «قوام كل شيء: ما استقام به»[٣]. وقيمة الشيء أي أنه ذو المقدار، أو الثمن.

وتُعرف اصطلاحاً: أنها مجموعة الصفات الأخلاقية، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها، ويتمّ التعبير عنها باستعمال الأقوال والأفعال، وتُعرف أيضاً أنها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية في توجيه السلوك البشري للقيام بكل عمل، أو قول يدلّ على الخير.

ولكن السؤال الذي يمكن أن يطرح من هو القيم على كل تلك الأمور، وما الحاكم عليها والمرجع الذي يمكن العود إليه في تحديد القيم الإنسانية؟!

ونجيب:

أولاً: لا يمكن لأي مخلوق كان الادعاء أن القيم التي يسير عليها، والتي تحكم سيرته هي الأفضل، لأن الناس في مبادئهم مختلفون، وفي أفكارهم يتبدلون، وفي أحكامهم يتلونون، وعقائدهم غير مستوين.. فما يراه أحدهم أنه حق وسليم قد يكون في نظر الآخرين باطلاً وسقيماً.

من هنا فلا بد للعودة إلى نقطة مشتركة يقبلها الجميع، ومساحة التقاء يتفق عليها السامي والوضيع..

ثانياً: إن القيم الإنسانية نسبت للإنسان، لأنه المخلوق العاقل الذي منحه الله ميزة الاختيار، وهو في هذه الدنيا في موقع الاختبار، فلا بد للإنسانية جمعاء بما أن القيم منسوبة لهم جميعاً أن يقفوا عند حدود تكون مقبولة لديهم دون استثناء.

ثالثاً: الإنسان بما هو إنسان فإنه يؤثر ويتأثر بشتى العوامل والأفكار، ولربما يتقلب في فهمه للأمور، وإن خلق الإنسان كان من ورائه الخلافة في الأرض، والتعرف على غيره، وأن يعمل لما فيه خير نفسه والآخرين على حد سواء، فمن عمل على تقويم نفسه أولاً، لا بد أن يؤثر في غيره ويشدهم إلى أعماله لو كانت صالحة، وكذلك المفسد فإنه يؤثر في من حوله سلباً وإيجاباً..

الدين القيم:

إذن وجب البحث عن تلك القيم الحاكمة التي فيها قوام الإنسان وخيره وصالحه، في هذه الدنيا، وما لها انعكاس على مصيره في الآخرة، ويوم الحساب..

ولأن الله عز وجل ما كان ليترك الناس يضربون في الأرض ضرب عشواء، فبعد أن منحهم العقل ليعقلوا به ويتفكروا، وأعطاهم الإرادة ليكونوا مختارين، أرسل لهم الأنبياء والمرسلين، واختار لهم الأوصياء المعصومين..

فكانت وظيفة هؤلاء أن يعرفوا الناس على أفضل، وأسمى، وأرقى القيم الإنسانية، بما أنهم هم يجتمعون مع باقي البشر بإنساتيهم، إلا أنهم ميزوا عنهم بأنهم أفضل الناس خليقة، وأرقى البشر خلقاً، وهم متصلون بالله من خلال الوحي الإلهي عليهم..

وحيث إن لكل الأديان خاتمة، ولجميع الأنبياء صفوة، وفي أوصيائهم الفضلى والقدوة، كان الدين الخاتم هو الحاكم على هذه القيم الإنسانية، وفيه تمامها وكمالها..

وهذا يناسب أن يكون المراد بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]. هو الدين.

وهذه الآية ليست في صدد مدح الخصال الأخلاقية لرسول الله ﷺ وحسب، ولست في مقام إظهار حسن خلقه فقط، وقد روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

حيث قال: هو الإسلام. وروي أيضاً، أن الخلق العظيم: الدين العظيم[٦].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير الآية قال: أي على دين عظيم[٧].

وما جاء عن النبي ﷺ، من أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٨].

فذلك مع ملاحظة حصر ما جاء به ﷺ بذلك، بواسطة كلمة إنما.

ويضاف إلى ذلك: أن ما جاء به الأنبياء السابقون هو ذلك نفسه أيضاً..

ويؤيد ما سبق الذي روي عن طريق أهل البيت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بمكارم الأخلاق فإن ربي بعثني بها.. الخ»[٩].

وخلاصة الموضوع: أن الدين الخاتم، هو أعظم القيم وأدلها إلى ما فيه خير الإنسان، والبشرية جمعاء، وإن الميل نحو التدين لهو «صاحب الدور الأساسي في حل المشكلة الاجتماعية، عن طريق تجنيد الدافع الذاتي لحساب المصلحة العامة.

وبهذا نعرف أن الدين حاجة فطرية للإنسانية، لأن الفطرة ما دامت هي أساس الدوافع الذاتية التي نبعت منها المشكلة فلابد أن تكون قد جهزت بإمكانات لحل المشكلة أيضاً، لئلا يشذ الإنسان عن سائر الكائنات التي زودت فطرتها جميعاً بالإمكانات التي تسوق كل كائن إلى كماله الخاص. وليست تلك الامكانات التي تملكها الفكرة الإنسانية لحل المشكلة إلا غريزة التدين والاستعداد الطبيعي لربط الحياة بالدين وصوغها في إطاره العام.

فللفطرة الإنسانية إذن جانبان: فهي من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتية. التي تنبع منها المشكلة الاجتماعية الكبرى في حياة الإنسان (مشكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية العامة للمجتمع الانساني).

وهي من ناحية أخرى تزود الإنسان بإمكان حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي إلى التدين، وتحكيم الدين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية.

وبهذا أتمت الفطرة وظيفتها في هداية الإنسان إلى كماله. فلو استمرت تثير المشكلة ولا تموت الطبيعة الإنسانية بحلها، لكان معنى هذا أن الكائن الإنساني يبقى قيد المشكلة، عاجزاً عن حلها، مسوقاً بحكم فطرته إلى شرورها ومضاعفاتها وهذا ما قرره الإسلام بكل وضوح في قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٠).

فإن هذه الآية الكريمة تقرر:

أولاً: أن الدين من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعاً، ولا تبديل لخلق الله.

وثانياً: أن هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلا الدين الحنيف، أي دين التوحيد الخالص، لأن دين التوحيد هو وحده الذي يمكن أن يؤدي وظيفة الدين الكبير، ويوجد البشرية على مقياس عملي وتنظيم اجتماعي، تحفظ فيه المصالح الاجتماعية.

وأما أديان الشرك أو الأرباب المتفرقة على حد تعبير القرآن، فهي في الحقيقة نتيجة للمشكلة فلا يمكن أن تكون علاجاً لها، لأنها كما قال يوسف لصاحبي السجن ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾(١١).

يعني بذلك أنها وليدة الدوافع الذاتية، التي أملت على الناس أديان الشرك طبقاً لمصالحهم الشخصيّة المختلفة، لتصرّف بذلك ميلهم الطبيعي إلى الدين الحنيف تصريحاً غير طبيعي، وتحول بينهم وبين الاستجابة الصحيحة لميلهم الديني الأصيل.

وثالثاً: إن الدين الحنيف الذي فطرت الانسانية عليه يتميز بكونه ديناً قيماً على الحياة ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّم﴾(١٢)، قادراً على التحكم فيها وصياغتها في إطاره العام. وأما الدين الذي لا يتولى إمامة الحياة وتوجيهها، فهو لا يستطيع أن يستجيب استجابة كاملة للحاجة الفطرية في الانسان، إلا الدين، ولا يمكنه أن يعالج المشكلة الأساسية في حياة الإنسان»(١٣).

الحسين عليه السلام إمام القيم:

بعد أن وصلنا إلى النتيجة التالية، وهي:

أولاً: الدين الخاتم، وهو الإسلام، دين الله العظيم.

ثانياً: أن القائم على هذا الدين هو النبي الأعظم ﷺ، لأنه صاحب الرسالة الخاتمة.

ثالثاً: أن الأوصياء الأثني عشر عليهم السلام هم القائمون على هذا الدين من بعد النبي ﷺ.

رابعاً: ووظيفة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام هو وضع الأطر والقيم التي يجب على الناس انتهاجها في حياتهم ليصلوا إلى كمال أنفسهم.

خامساً: إن منهجة القيم في بوتقة، أو دستور يمكن أخذه من المعصوم، وعمل فيه في كل زمان ومكان، ذلك لأن هذا النهج هو النهج الخاتم الصالح لكل الأزمنة من بعده.

سادساً: إن تلك القيم يمكن أخذها من المعصوم في حال السلم والحرب، في حال القعود أو القيام.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام هو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذي يجب أن نقتدي بهم وذلك من خلال الدور الذي أعطي لهم من قبل رسول الله ﷺ، ولأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كان علامة فارقة في تاريخ الأمة، بكل ما فيها، فلا بد أن هذه النهضة قد خطت ووضعت نهجاً للقيم الإنسانية الصالحة لكل البشر أن يسيروا عليها، حيث إن هذا هو النصر المبين، بأن تترك ما هو مؤثر بشكل إيجابي، ويحفر في ذاكرة الناس ذلك النهج القويم ولو تبع ذلك التضحيات الجسام، وكان نتيجة هذا النهج فقد العزيز والغالي، بل بذل نفسه الشريفة من أجل إعلاء ما يراه أنه حق.. وهذا ما يسمى باختصار: «النصر القيمي»..

مكانة الإمام الحسين عليه السلام من دين الله:

ولا بد لنا، وقبل الانتقال إلى المقومات التي جعلت القيم الإنسانية التي أسس لها الإمام الحسين عليه السلام تنتصر، وتبقى ما دامت هذه الدنيا موجودة من خلال نهضته المباركة، أن نتكلم بإيجاز عن موقعية الإمام الحسين عليه السلام من دين الله العظيم، الذي جعله الله خاتم الرسالات بأكملها.

إن مقام الإمامة للإمام الحسين الشهيد عليه السلام ثابت وواضح ولا يمكن التغاضي عنه أو الاعتراض عليه. فقد جاء في جملة من الروايات والمصادر أدلة وبراهين لا تعد ولا تحصى، ولسنا هنا بصدد سرد جميع تلك الأدلة والوقوف عليها، ولا شك في أن مقام الإمامة هو المهم.

وهنا يأتي السؤال: ما هو دور الإمام الحسين عليه السلام في ذالكم المشروع الإلهي؟!

ونقول:

إن التفكير السليم يقتضي أن تكون الإمامة هي المشروع الإلهي وفيما تكون الخلافة جزءاً من منصب الإمامة، حيث إنها المشروع الإلهي الأساس والمهم. وكما وإن الإمامة لا تبطل، ولا ينتهي تأثيرها، ولا تنقضي أهدافها باغتصاب بعض صلاحياتها من صاحبها الشرعي، لذلك «فإن الإمامة ليست هي الخلافة والسلطة، بل السلطة بعض شؤون الإمام عليه السلام. ومن شؤون الإمام الحكم بين الناس بالحق والعدل.. ومن شؤونه أيضاً مرجعيته الشرعية والفكرية في مختلف العلوم والفنون، والحكمة والأدب والمعارف، واكتناه الأسرار والغيوب التي أذن الله لخلَّص أوليائه وأصفيائه بالوقوف عليها.. ومن أجل القيام بنفس المهام التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم بها في مختلف الأحوال والمجالات. وللإمام خصائص النبي وحالاته باستثناء الوحي، وكما للإمام مقام الشاهدية، وتعرض على الإمام أعمال الخلائق. ومن شروط تقبل الأعمال الاعتقاد بالإمامة، وبه تنال الجنة، وبه النجاة من النار، وقد ورد أنه لا يدخل الجنة إلا من كان معه جواز من علي عليه السلام[١٤].

وضياع مقام الإمامة كما صرحت به آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..﴾ يوازي ضياع الرسالة كلها، بل كل شيء في هذا الدين يبقى ناقصاً بدونها، وغير ذي فائدة أو أثر، فهي تقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾..»[١٥].

وعلى هذا فإن العقل والفطرة السليمة، والدليل العقلي لازم لوجود الحجة، والمعصوم، والإمام المختار من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وآله، من هنا فإن الدليل العقلي والمنطقي يُخبر بالتالي:

من الثابت أن الله تعالى قد خلق هذه الخلائق لغاية معينة؟!

وذلك هو مقتضى الحكمة وإلا لكان خلقه هذا عبثاً – والعياذ بالله – وتنزه الله عن هذا تنزيها. وقد قام سبحانه بخلق الإنسان في أطوار من التدرج، وجعل لهذا المخلوق – أي الإنسان – قابلية التكامل، وأعطاه هبة العقل الذي ميزه به عن سائر المخلوقات لكي يستطيع بواسطته أن يتكامل، غير أن العقل لا يستطيع وحيداً أن يصل إلى معرفة الحقائق بشكل دائم، فكان لا بد لهذا العقل من مرشدٍ إلهي يساعده على التكامل، ويوصله إلى الدرجة التي بمقدوره

أن يصل إليها. وبالتالي لا يمكن أن يبلغها من دون واسطة، وهذه الواسطة هي: الرسول ومن بعده الوصي الإمام..

لذلك، وجب أن لا تخلو الأرض من هذا المكمّل، لئلا يضل الإنسان عن الطريق في بلوغه الغاية التي خلق لأجلها، وهذا الضلال يؤدي إلى حصول الفساد في الأرض، وشيوع الاضطراب والتنازع، والتصارع والتخاصم، وينجم عن ذلك الكوارث التي يهلك فيها الخلق، وهذا هو مصداق قوله: «لساخت الأرض بأهلها»(١٦). وعندها نتساءل عن الغاية في هذا الخلق ترى هل هو عبثي؟!

والمعلوم لدى الجميع أن: الله حكيم ليس في غاياته أي عبث.

ولذلك كله: فالإمام الحسين عليه السلام هو إمام الأمة، من هديه نستنير وبضوء إرشاداته نهتدي إلى سواء السبيل، وبكلماته الشافية نعرف الحق من الباطل، والصالح من الطالح، ومن خلال نهضته الشريفة نهتدي إلى سواء السبيل..

والإمام يظل إماماً واجب الإتباع والاقتداء به في حال نهضته إذا قام، أو قعد لمصلحة الدين قد أرتأها، وهذا ما يختصر حديث النبي صلى الله عليه وآله في حق الحسن والحسين عليهما السلام حين قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(١٧).

وفي نص آخر: «الحسن والحسن إماما أمتي بعد أبيهما»(١٨).

النهضة الحسينية المباركة:

حين يريد أحدنا أن يتحدث عن حركة الإمام الحسين عليه السلام، ونهوضه ضد الحاكم الظالم لربما يحصر فترة تلك النهضة من حين خروجه من المدينة المنورة، ومن ثم إلى مكة المكرمة، متوجهاً بعد ذلك إلى العراق إلى أن انتهى الأمر في العاشر من المحرم، باستشهاده في أرض كربلاء المقدسة..

ولعل بعضهم يطلق على قيام الإمام الحسين عليه السلام ضد الظلمة، ومن باب التسامح «الثورة الحسينية»، ولكن هذا يحتاج من الباحث إلى تدقيق أكبر، ونظر في مفاهيم الحركة الحسينية، ولا بد لمن أراد التدقيق بهذه الأمور، لكي نصل لنتيجة لا يكون فيها اجحاف بحق الإمام الحسين عليه السلام وحركته المباركة..

إذن ومن هذا المنطلق تطرح بعض التساؤلات حول ما قام به الإمام الحسين ﷺ، ويمكن حصرها فيما يلي:

ماذا تسمى حركة الإمام الحسين ﷺ ؟، هل هي نهضة؟ ثورة؟ أو خروج؟!

متى بدأت حركة الإمام الحسين ﷺ ونهضته المباركة؟!

ونجيب:

أماّ السؤال الأول:

أولاً: لا يمكن أن نطلق على حركة الإمام الحسين ﷺ أنها خروج، وذلك يعود لعدة أمور، منها:

أ: الخروج يطلق على من خرج على إمام زمانه، الشرعي، المبايع له بالسمع والطاعة.

ب: أن إطلاق هذه التسمية على حركة الإمام الحسين ﷺ كان من قبل المعسكر الأموي حيث ادعى ابن خلدون، وابن العربي أن الإمام الحسين ﷺ: «إن الحسين قتل بسيف جده»[١٩].

ج: وفي هذه الدعوى تبرئة ليزيد «لعنه الله» من دم الإمام الحسين ﷺ حيث قالوا إن خروجه لم يكن مصلحة للدين ولا للدنيا، وقالوا أن يزيد لم يأمر بقتله، ومن هؤلاء:

ابن حجر الهيثمي[٢٠]، محمد كرد علي، وتقي الدين ابن الصلاح، والغزالي، وابن العربي، وابن تيمية وأمثالهم[٢١]. حيث اعتبر هؤلاء: أن من يخرج على إمام زمانه فقد اسقط ذمة الله من رقبته وأصبح «خارجياً»، وبذلك تسقط حرمة دمه وماله، وأهله. وهذا كله تبرير ساقط غير حصيف، فقط ليقولوا إن خروج الإمام الحسين ﷺ لم يكن له وازع ديني أو غيره..

ومن هنا، لا يصح ولا يجوز لأي أحد أن يقول إن حركة الإمام الحسين ﷺ كانت خروجاً. وإلا صرنا في النطاق الذي أراده هؤلاء الحاقدون، الناصبو العداء لأهل بيت النبوة ﷺ.

وهذا يفتح المجال لنقول: هل كان يزيد «لعنه الله» إماماً حقاً واجب الطاعة؟!

والجواب: بالطبع كلا، لأن في ذلك خلاف لما أقره النبي ﷺ من إمامة الحسنين ﷺ في كثير من النصوص العامة والخاصة..

ويزيد «لعنه الله» هو من أمر بقتل الإمام الحسين ﷺ، بعد هلاك أبيه، وقبل أن يبايعه

الناس، خصوصاً في العراق والحجاز واليمن، وقد دسوا الرجال لكي يغتالوه في أقدس مكان، وفي أشرف وأفضل الأيام، ولو كان معلقاً بأستار الكعبة، أو بضرب عنقه كما جاء في نص رسالته إلى عامله على المدينة حيث إنه أمره: «أن يأخذ البيعة من هؤلاء الأربعة [ويقصد بهم] (الحسين عليه السلام، وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبي بكر) أخذاً ضيقاً، ليست فيه رخصة، فمن تأبى عليك فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه»[٢٢].

والإمام الحسين عليه السلام وغيره من الذين يعتبرون بأنهم كبار الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهم – كما يعتقدون – أهل الحل والعقد قد رفضوا خلافته عليهم بالقوة، وهو المعروف بفسقه وجوره[٢٣].

ويكفي ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حق يزيد ونقله ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله، وهو قوله: «ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد فإنه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين.. الخ»[٢٤].

فهذا الحاكم لا تصح بيعته بأي شكل من الأشكال، ولا يُصالح ولا يُسالم معه، فهو معتد آثم، كان يتربص الدوائر بالإمام الحسين عليه السلام، ويبذل قصارى جهده لكي يوقع به عليه السلام..

ثانياً: ولا يمكن القبول أن حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت ثورة بمعنى الصحيح للكلمة، وذلك يعود إلى عدة نقاط أهمها:

أ – أن طلب الإصلاح في أمة النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يكون «ثورة» حيث إن كلمة ثورة لا تليق بالإمام الحسين عليه السلام، وذلك لأنه لا ارتباط دينياً من قريب وبعيد بين الثورة وما قام به الإمام عليه السلام.

ب – وقد ارتأى لفيف من علمائنا الأعلام أن حركة الإمام الحسين عليه السلام هي «محض جهاد في سبيل الله، بالمفهوم الديني الدقيق، ولا يصح وصفها بالثورة، بل يكون إطلاق وصف الثورة عليها إهانة للإمام الحسين عليه السلام لا يجوز أن ترتكب في حق هذا الإمام العظيم»[٢٥].

وقد صحب الإمام الحسين عليه السلام في مسيره نحو العراق أهله، وعياله، وقلة قليلة من الأصحاب الذين رافقوه واستشهدوا معه في كربلاء، فهو لم يجهز عسكراً، ولم يجيش الجيوش، وكل هدفه كان أن يقوم بحركة إصلاحية جهادية فيها لله رضا ولرسوله، مضحياً بنفسه الشريفة، ولكي تتجلى حقائق الدين الحنيف، ويعمل على إظهار المعالم التي درست منه، ويقوم بترسيخ دعائم الإسلام المحمدي الأصيل في وجدان هذه الأمة وضميرها، ويكشف زيف ادعاء الظالمين

ويسقط تلك الأقنعة الخداعة التي لبسها أولئك، ويضحد الباطل، ويفضح أمور الظالمين ومن يحمونه ويدعون إليه.

ج – وهناك فوارق جمة وشتى وعديدة فيما بين: «الثورة» و «الجهاد»، حيث إن «الجهاد مفهوم ديني خالص، فمن الطبيعي أن نتحدث عنه بما له من خلال نظرة الدين والإسلام له. ووفق ما له من نصوص وأحكام. ولا نتحدث عنه بمفهومه اللغوي الصرف الذي هو مجرد بذل الجهد.

ومن الجهة الأخرى، فإنه ليس للثورة مفهوم ديني يمكن الحديث عنه، أو التلويح به.

وهذا ما يميز الجهاد عن الثورة، وهو أمر مهم جداً. لأنه يكرس مجموعة من الفوارق بين الجهاد والثورة»[٢٦]. ومن تلك الفوارق التي أذكر بعضها بإيجاز:

١: الجهاد هو من صلب المفهوم الديني، أما الثورة فليست كذلك.

٢: أن الجهاد لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان صادراً بقصد التقرب من الله، ومن مسلم عاقل بالغ، أما الثورة قد لا تكون مشتملة على تلك الشروط، بحيث يسقط شرطاً من هذه الشروط المطلوبة في الجهاد.

٣: أن الجهاد يشترط بالهدف من ورائه أن يكون عملاً محبوباً لله عز وجل مرضياً له، وهذا الشرط قد يكون ساقطاً في مبادئ الثورات.

٤: أن الجهاد يتطلب معنى القتال في سبيل الله وتضحية في سبيل إعلاء كلمته، والذود عن حياض الإسلام، وفي الثورات قد نجد خلاف ذلك فقد يكتفى بالاعتصامات والاحتجاجات والعصيان المدني فقط.

٥: أن الجهاد في سبيل الله يجب العود فيه إلى صاحب قرار معصوم، مؤيد من الله سبحانه، عالماً بأحكام الشرع، وفي الثورات قد يكون سببها هو الهيجان، والغضب، والتحرك العشوائي..

٦: الجهاد لا بد فيه من تأمل وتدبر وتفكر في شؤون البلاد والعباد، ومصيرها، وما سيؤول إليه حالها، ولكن هذا غير متوفر في الحركات الثورية بسبب الاندفاع والهياج الشعبي..

وهناك العديد العديد من الفروق والتباين فيما بين «الجهاد» و «الثورة»، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كتاب: سيرة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والسيرة، لمؤلفه السيد المحقق

جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله» في ج١٥ من ص١٤ إلى ص٢١، المبحث: (الحسين ﷺ مجاهد أم ثائر؟!).

ثالثاً: ونصل بعد هذا كله إلى النتيجة التالية، أن حركة الإمام الحسين ﷺ الإصلاحية، الجهادية، هي نهضة مباركة، وذلك يعود إلى الأسباب التالية:

أ: النهضة: هي الحركة التي تعقب السكون، وهي حركة تبدو متسمة بالسرعة والمفاجأة، وهي ليست بعيدةً عن المعنى الاصطلاحي الشائع أي «البَراحُ من الموضع والقيامُ عنه، ونهَضَ، يَنْهَضُ، نَهْضاً، ونُهوضاً، وانْتَهَضَ، أَي: قامَ»[٢٧].

وقيل النهضة ما كانت مشتملة على القوة والعزيمة والمقاومة، وهي متممة لمعنى الحركة المفاجئة السريعة، لأن أي حركة تحتاج إلى قوة وعزيمة وجلد. حيث قالوا: «ناهَضْتُه: أَي قاوَمْتُه»[٢٨]. وقالوا: «النَّهْضةُ: الطَّاقةُ والقوَّةُ»[٢٩].

وانطلاقاً من هذه التعريفات الاصطلاحية واللغوية، تكون النهضة للقيام بأي عمل يسبقه سكون عن الحركة، ولا بد من أن تكون مشتملة على قوة الموقف، وعزيمة الإرادة، ومقاومة الضلال بشتى أشكاله وأنواعه، ويمكن أن يكون النهوض قولياً، وفعلياً.

ب: النهضة الحسينية لا يمكن حصرها بواقعة كربلاء فقط، فهي ممتدة ومتواصلة من بعد شهادة الإمام الحسن المجتبى ﷺ، إلى أن وصلت السلطة ليزيد «لعنه الله»، إلا أنها كانت نهضة قولية في زمن معاوية، وذلك التزاماً من الإمام الحسين ﷺ ببنود المعاهدة التي تمت بين معاوية «لعنه الله» والإمام الحسن ﷺ.

ج: وهذا يعني أن النهضة الحسينية المباركة أخذت المنحى التصاعدي، بأن بدأت بالتصدي للمعتدي بإظهار ظلمه وعدوانه لسانياً، وقولياً من باب إلقاء الحجة، ومن ثم حينما تصاعد التعدي عليه من قبل السلطة الأموية كان مدافعاً عن نفسه وعن حقه، فهو لم يبتدئ بقتال، بل هم من أرادوا قتله بداية، فهو لم يعترف بسلطة يزيد «لعنه الله» لأن ذلك خلاف المعاهدة، بأن تتنقل الخلافة للإمام الحسين ﷺ من بعد معاوية في حال لم يكن الإمام الحسن ﷺ موجوداً على قيد الحياة.

وخلاصة النهضة الحسينية من بدايتها وحتى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كانت في مقابل كشف الظالمين على حقيقتهم وبلورة الأمور لكي تفهم الأمة ماذا ضيعت.

وأماّ السؤال الثاني، فنقول:

إن النهضة الحسينية المباركة وكما أسلفنا آنفاً ليست مختصة من وقت أن ترك الإمام الحسين عليه السلام مدينة جده صلى الله عليه وآله، بل من حين شهادة الإمام الحسن عليه السلام، وسيظهر ذلك من خلال الآتي في هذا البحث إن شاء الله.

مقومات النصر:

حسب ما وصلنا إليه فإن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت منذ بدئه بالتصدي للسلطة الأموية المتمثلة بمعاوية بن أبي سفيان والتي انتقلت بعد هلاكه إلى يزيد «لعنه الله»، ومن بين المقومات التي أسست للنصر القيمي:

المحور الأول: إسباغ الحجة، وإثبات الدليل:

هو التصدي لهذه السلطة قولياً، إسباغاً بالحجة عليهم، فكان نفس خروجه هو لطلب الإصلاح في الأمة، بهدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والخروج جاء محصلة لتزايد المظلومية عليه، وسعيهم الحثيث لقتله عليه السلام. فأراد أن يصل لقمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال حركة إصلاحية يكون دمه الشريف فداء لذلك الهدف السامي.

فالنصر لا بالسيف فقط بل بقوة الدليل الذي يظل محفوراً في ضمير الأمة بإظهار ضعف منطقه، وهشاشة دليله، وهذا ديدن الأنبياء والأوصياء..

روي عن موسى بن عقبة أنه قال: قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب، فإن فيه حصراً، أو في لسانه كلالة.

فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا.

فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت.

فصعد الحسين عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟!

فقال الحسين عليه السلام:

نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين (الذين) اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطئنا [نتظنّى] تأويله، بل نتبع حقائقه.

فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣٠].

وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَ قَلِيلاً﴾[٣١].

وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾[٣٢]. فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً. ثم لا يقبل من نفس إيمانها ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٣٣].

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت[٣٤].

وفي هذه الخطبة إشارات مهمة، منها:

أولاً: الظاهر من نص الرواية أن السلطة وأتباعها يقومون بتقصي أحوال من هم حولهم، وخاصة من يرونهم أنهم مناوئين لهم، بل قل إنهم يخافون منهم، لأنهم يعلمون علم اليقين أنهم الأحق بما تحت إيديهم.

ثانياً: تحاول هذه الطبقة من الناس أن تنصب الأفخاخ للأئمة عليهم السلام بشتى الوسائل، فحين يوسوسون لمعاوية بأن يطلب من الإمام الحسين عليه السلام ظناً منهم أنه سوف يرهبه الوقوف على المنبر، ويتهيب من هذا الموقف، ولكن معاوية يعلم عكس ذلك، وقد خبره من خلال تجربة سابقة مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ومع ذلك يحاول مرة ثانية مع الإمام الحسين عليه السلام.

ثالثاً: حين صعد الإمام الحسين ﷺ إلى المنبر، سمع أحدهم يقول: « من هذا الذي يخطب؟!»، فهل قال هذا جهلاً بشخص الإمام الحسين ﷺ، أم استهزاءً منه فقط، وقد حاول الجبابرة من المتسلطين على الناس فعل مثل هذه الأفعال مع جميع الأئمة ﷺ وتعج كتب الأحاديث بمثل هذه المواقف، ومنها قصيدة الفرزدق بالإمام زين العابدين ﷺ حين قال هشام بن عبد الملك: «من هذا؟!»، فكانت تلك القصيدة الرائعة المفعمة بمعاني الولاء والحب.

رابعاً: أن رد الإمام الحسين ﷺ حين قال: «نحن حزب الله»، إشارة منه إلى أن من يعاديهم، ويتربص بهم ويحاول المحاولة تلو الأخرى لقتلهم، ويبذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك هم حزب الشيطان.

خامساً: عترة الرسول هم الذين أوصى بهم النبي ﷺ لأنهم هم الأقربون، حيث إنهم الأعلم والأدرى بما جاء به، فلا يمكن لأحد أن يدعي أنه أقرب منهم لهذا الدين وأعلم به من غيرهم.

سادساً: هم عدل القرآن، وأحد الثقلين الذين أوصى الأمة بأن تتمسك بهم، فمن كان عدل القرآن كان تفصيل كل ما فيه لديه.

سابعاً: وهم أهل بيته الطيبون إشارة منه إلى طهارة نفوسهم، وبعدهم عن الخبائث، بحيث لا يمكن للخبيث أن يكون مع الطيب، بل هم المطهرون من كل رجس.

ثامناً: وأشار إلى أن طاعته واجبة مفروضة على كل الأمة وهي حق له، فكيف بمن يتربص به الدوائر يريد قتله والخلاص منه. وقد احتج عليهم بآية الطاعة..

تاسعاً: «حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت»، قول معاوية هنا يدل أنه لا يستطيع أن يتحمل قول الحقيقة، ولم يستطيع التعامل مع الدليل، ولا مع حجة الإمام الحسين ﷺ التي ساقها، وهذا هو أول مقومات النصر على العدو. بفضحه وفضح أسراره لا بالتهجم والسب والشتم، بل بإظهار الحق وأهله له..

وأخيراً، فإن كل تلك المعاني والإشارات تدل بما لا يدانيه الظن أو الريب والشك، أن من يملك الحجة يمكن أن يخرس الباطل، ومن معه الدليل هو في موقع القوة، وهذا من مقومات النصر للقيم السامية، وذلك قيل: «نحن أبناء الدليل نميل معه كيفما يميل». ولأن الدليل

بوضحه يكون كالشمس في رائعة النهار، لا يمكن لأحد أن ينفي وجودها، فالنصر يبدأ بأن تنصر الحق بالدليل القوي، الذي لا يمكن لأحد أن ينفيه أو يشكك به.

المحور الثاني: الهجرة:

إن خطوات النبي ﷺ خلال عمله الرسالي هي التي أنجحت مهمته، وأظهرت دين الله على الجميع ولو كره المشركون، والمنافقون، والمبغضون..

فإنه ﷺ بخطواته الحكيمة، وسياساته الرشيدة استطاع أن يقوم بنشر الهداية، وإيصال الكلمة الحق..

بداية، بلغ قرابته وأهله، ومن ثم قومه، وحين حاربوه على مدى ثلاث عشرة سنة، ترك مكة مهاجراً لله، وقد أجمع القوم على قتله، ظناً منهم أنهم سيفلحون في ذلك ولكن: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣٥].

وقد اجتمعت قريش في دار الندوة، واتفقوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فاختاروا عشرة أو خمسة عشر رجلاً، من كل قبيلة من قريش ـ وكانوا عشر قبائل أو خمس عشرة قبيلة أو أكثر ـ ليبيِّتوا النبي ﷺ بضربة واحدة من سيوفهم.

فأخبر الله تعالى نبيه بمكرهم، فأخبر ﷺ علياً عليه السلام بمكر قريش، وأمره أن يتغشى ببرده الحضرمي، وينام في فراشه.

فقال علي عليه السلام: أوتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟!

قال: نعم.

فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله.

فنام على فراشه، واشتمل ببرده الحضرمي، وخرج النبي ﷺ في فحمة العشاء، والرصد قد أطافوا بداره ينتظرون، وهو يقرأ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[٣٦]. وذهب ﷺ إلى الغار[٣٧].

ونلاحظ ما يلي من هذه الرواية:

أولاً: أن القوم من المشركين قد عزموا أمرهم على اغتيال النبي ﷺ، وبذلك ينتهوا منه ومن دعوته.

ثانياً: أن خروج النبي ﷺ هو أمر لا بد منه، وهجرته إلى المدينة أيضاً، فلو بقي لما كان لمقومات ظهور الدين أن تتم.

ثالثاً: أن جميع أفعال النبي ﷺ إنما هي من أمر إلهي، لما فيه مصلحة الدين ومصلحته ﷺ.

رابعاً: كان لا بد للهجرة أن تتم لكي يقوم النبي ﷺ بترتيباته، وتنظيم أموره بعد أن فقد المعين والناصر بوفاة عمه أبي طالب عليه السلام وزوجته أم المؤمنين خديجة «رضوان الله عليها».

خامساً: إن خروج النبي ﷺ من بين المجتمعين حول بيته كان بصورة طبيعية لا إعجازية. واستفاد من الوسائل نفسها التي تكون من خيارات جميع الناس، فالجميع يستفيد من حلكة الظلام في الليل ليتستر له ويختفي عن أنظار المناوئين له، كما أنه يحاول الاستفادة من هبوب الريح في تلك الظلمة، لينثر على أعدائه تراباً يدخل في عيونهم، ويربكهم، حتى يظنوا أنها الريح هي التي أثارت ذلك التراب.

سادساً: كما أن الجميع يتلو تلك الآية المباركة ليصرف أنظار الأعداء عنه. وما قام به ﷺ لم يزد بالاستفادة منه مما هو ميسور لجميع الناس. لأن جميع الناس أيضاً يحاولون أن يوهموا عدوهم بوجودهم في مكان، ولو بإضاءة المصباح، أو إبقاء أناس فيه، يظن العدو الراصد، أنهم هم بغيته، وهذا هو الهدف من اضطجاع الإمام علي عليه السلام في فراش النبي ﷺ من هذا.

وقد شابه الإمام الحسين عليه السلام في هجرته من المدينة النبي ﷺ من عدة جهات، فإنه عليه السلام خرج لما هو أهم من البقاء، وذلك بذهابه إلى مكة ومن ثم إلى العراق لكي يستشهد هناك وتكون هجرته هذه إعادة لإحياء الدين المحمدي، وإعادة الروح إليه بعدما حاول بنو أميه طمسه، وتغيير معالمه.. حتى أن الإمام الحسين عليه السلام قد استعمل نفس الطريقة في هجرته من مكة وقد خرج في جوف الليل.

يروي ابن أعثم: أن الإمام الحسين عليه السلام خرج في جوف الليل[٣٨].

وصرح ابن طاووس: أن ارتحاله عليه السلام كان في وقت السحر[٣٩].

وقيل أيضاً: «إنه عليه السلام خرج من المدينة وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤٠]»[٤١].

وما يمكن قوله هنا، هو التالي:

أولاً: أن ترك الإمام الحسين عليه السلام للمدينة المنورة قد شابه به خروج النبي صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة، وكان ذلك ليلاً حسب الروايات المنقولة. وذلك حفاظاً على نفسهما الشريفتان من القتل، وتضييع أهداف الأعداء.

ثانياً: إن استعمال الإمام الحسين والنبي صلى الله عليه وآله للآيات الكريمة لا يخرج عن الاستعانة بالله سبحانه في كل الأحوال وعلى جميع الأصعدة.

ثالثاً: أن الإمام الحسين عليه السلام قد ترك المدينة لإنجاح أهداف نهضته الشريفة، ومن مقومات انتصار الحق على الباطل، بحيث ينفذ الخطة الإلهية حتى النهاية.

رابعاً: لا يخفى على أحد: أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن خائفاً من القتل، وإنما كان يريد إفشال ما يريده قاتلوه من تضييع دمه هدراً قبل أن يفعل ما عليه فعله، مع علمه أنهم مصرون على قتله، كما دل عليه قوله لأخيه ابن الحنفية: «والله يا أخي، لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني»(٤٢).

خامساً: الذهاب لمكة المكرمة لكي يلقى الحجيج في موسم الحج كان أيضاً من الأهداف التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام، وهو في بيان حقه في نهضته المباركة.

وأخيراً نقول: إن هجرة النبي صلى الله عليه وآله كانت في صالح الدعوة، وهجرة الإمام عليه السلام كانت في صالح النهضة وإحياء الدين.

المحور الثالث: الدعوة إلى الله:

حسب ما ينقل التاريخ أن إقامة الإمام الحسين عليه السلام في مكة كانت أكثر من أربعة أشهر، ثم توجه إلى العراق في العشر الأولى من ذي الحجة..

وفي هذه الفترة الزمنية، قام بالدعوة إلى الله بما هو يناسب، والتأكيد على مشروعية نهضته ضد الظلم، فمن الأمور التي نشط بها عليه السلام، التالي:

أولاً: لقاؤه بالوافدين والحجيج إلى مكة، فكانوا يجتمعون حوله حلقاً حلقاً، ويتبادل وإياهم أطراف الحديث بما يهمهم من الشؤون.

ثانياً: كان يجتمع بالشخصيات البارزة آنذاك، ويتحاور معهم في شتى الأمور.

ثالثاً: قام بإرسال الرسائل إلى أهل البصرة، وأهل الكوفة..

رابعاً: تلقى رسائل أهل الكوفة وأجابهم عليها، حتى أنه أوفد ابن عمه وثقته مسلم بن عقيل إليهم كي يستطلع أحوال أهلها.

خامساً: ألقى الخطب في مكة ومنها ما فيه عبر للتاريخ ولأصل الدعوة إلى الله..

سادساً: كان يصلي في الناس جماعة..

سابعاً: حين عرف بعضهم عزمه الذهاب إلى الكوفة كتب إليه ظناً منه إنه في مقام النصيحة له .

ثامناً: بعد تزايد الناصحين له بترك الذهاب إلى الكوفة خطب خطبته الشريفة التي رسم فيها الخطوط العريضة لقيامه، والهدف من نهضته المباركة.

تاسعاً: نقلوا: أنه بعد «مسير طويل، دام عدة أيام لاحت للإمام ومن معه من بعيد جبال مكة، فجعل يتلو هذه الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٤٣]»[٤٤].

وبقراءته لهذه الآية الشريفة يشير إلى ما يلي:

أ: يخبر أنه يقدم على مرحلة جديدة يحتاج فيها إلى هدايات الله، ودلالاته وألطافه.

ب: ويشير ﷺ بقراءته لهذه الآية أيضاً على: أن مكة هي البداية لمسيرته الشريفة، وليست النهاية.

ج: ويشير كذلك:الى أن في تلك مسيرة خفايا، ومفاجآت كبرى، وحوادث لم يسبق أن مرت في التاريخ مشابهة لها أو من مثيلها.

د: ومن الدلالات أيضاً: «أن موسى ﷺ بعد أن قتل القبطي، وطلبه أعداؤه خرج إلى جهة مدين ولم يكن قد ذهب إليها من قبل ولا عرف طريقها.

كما أنه لم يكن يعرف فيها أحداً من الناس، ولا كان له فيها بحسب علمه معين ولا ناصر. وإنما توجه إليها لأنها كانت لا تخضع لسلطان فرعون .. وكان ﷺ يطلب الخروج إلى بلد له هذه الصفة. لأنه يريد أن يسلك طريق النجاة من الظالمين.

وهذه كانت حال كربلاء، فهي بمثابة سبيل نجاته باستشهاده ﷺ..الخ»[٤٥].

عاشراً: خطبة المسار:

فقد روي: «أَنَّهُ «صلوات الله عليه» لَمّا عَزَمَ عَلَى الخُروجِ إلَى العِراقِ قامَ خَطيباً، فَقالَ: الحَمدُ لله، ما شاءَ اللهُ ولا قُوَّةَ إلّا بِالله، وَصَلَّى اللهُ عَلى رَسولِهِ وسَلَّمَ.

خُطَّ المَوتُ عَلى وُلدِ آدَمَ، مَخَطَّ القِلادَةِ عَلى جيدِ الفَتاةِ.

وما أولَهَني إلى أسلافِي اشتِياقَ يَعقوبَ إلى يوسُفَ.

وخيرَ لي مَصرَعٌ أنَا لاقيهِ.

كَأَنّي بِأَوصالي تُقَطِّعُها ذِئابُ [عسلان] الفَلَواتِ بَينَ النَّواويسِ وكَربَلاءَ، فَيَملَأنَ مِنّي أكراشاً جوفاً، وأجرِبَةً سُغباً. لا مَحيصَ عَن يَومٍ خُطَّ بِالقَلَمِ.

[زاد في عدد من المصادر قوله: رِضَى اللهِ رِضانا أهلَ البَيتِ، نَصبِرُ عَلى بَلائِهِ، ويُوَفّينا أُجورَ الصّابِرينَ.

لَن تَشُذَّ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ لُحمَتُهُ، بَل هِيَ مَجموعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ القُدسِ، تَقَرُّ بِهِم عَينُهُ، ويُنجَزُ بِهِم وَعدُهُ].

مَن كانَ باذِلاً فينا مُهجَتَهُ، ومُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللهِ نَفسَهُ، فَليَرحَل مَعَنا؛ فَإِنّي راحِلٌ مُصبِحاً إن شاءَ اللهُ»[٤٦].

وما يمكن الاستدلال به من هذه الخطبة الشريفة، ما يلي:

أ: أن إخبار الناس عن خبر استشهاده ﷺ يستند إلى علم الله بعصيان الناس ما يأمرهم الله به، ولا يقتضي الجبر الإلهي لهم، ومنعهم عن القيام بواجبهم العقلي والشرعي. فلو اجتمع له المناصرون كان من الممكن أن تتغير الأحوال..

ب: إن قانون البداء يبقى هو الحاكم، فلا يمكن لأي كان تجاهله وصرف النظر عنه .. ولاسيما فيما يرتبط بحدوث الاستشهاد للحسين ﷺ في خصوص هذا المسير.

ج: إن الإمام الحسين ﷺ يشير إلى أن الموت ليس بحد ذاته سيئاً في، وليس فيه خسارة لبني البشر، بل قد يكون سبيلاً إلى الارتقاء في سلم الدرجات الآخروية، وباعثاً للبهجة، ودرب أنس للذين يعلمون ويتدبرون، ويتأملون ويتفكرون.

فكما أن العقد الذي يزين به جيد الفتاة مما يزيد في بهرجتها، ورونقها ويضفي عليها جمالاً،

ويجعل الأنظار مشدودة إليها، ويزد من الرغبة فيها، وتنشد النفوس لها. فالموت هو كذلك بالنسبة للإمام ﷺ، فإنه يضيف على حياة الإنسان المؤمن الموقن البهجة والرونق والجمال، ويزيد من طموحه، ويدفعه إلى الاستبسال لإتمام العمل، وعلى أكمل وجه، ويتسابق والمؤمنين أخوته لكسب الخيرات، ويتنافس وإياهم ليعلو في الدرجات، وإكمال المهمات، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٤٧).

إن بيان الإمام الحسين ﷺ لمعنى الموت وحتميته بأروع الصور البلاغية فهو مثل «زينة الحياة، يزيدها جمالاً، وبهاءً ورونقاً، ويعطيها المزيد من البهجة واللذة، تماماً كما هو الحال بالنسبة للقلادة إذا كانت على جيد الفتاة، فإنها تكون زينة لها، تشدُّ الأنظار إليها، وتزيد من تعلق القلوب بها.

ويستوقفنا هنا التعبير بكلمة: «جيد» التي توحي بالجودة، وهو تعبير مريح للنفس، مثير للكثير من المعاني اللذيذة في أعماقها.

كما ويلفت نظرنا أيضاً اختيار خصوص الزينة التي في هذا الموقع الحساس من جسد المرأة، بما يثيره من إيحاءات تنبعث من صميم الإغراء الأنثوي، وفي النقطة المركزية والأساس فيه.

ثم إنه ﷺ يختار التعبير بكلمة «الفتاة» بدلاً من كلمة «المرأة» ونحوها. لأن الفتاة وليس سواها، هي التي تمثل القمة في الحيوية، والطموح، والجمال، وما إلى ذلك.

فهذا موقع الموت، وهذه هي حساسيته، وبذلك تظهر أهميته»(٤٨).

من هنا، فإن شهادته ﷺ بما هي موت، ليست موتاً بحقيقتها بل هي حياة له في الدنيا والآخرة، حياة له بتجدد ذكراه الشريفة، فكلما ذكر إسم الإمام الحسين ﷺ فهمنا معنى التضحية بأكمل صورها، والدعوة بأبهى طلتها، وفهمنا الحق بأوضح نهج ومنهاج..

فشهادته إحياء لما حاول الآخرون طمسه، وإعادة للنهج الرسالي القويم، وسيرٌ على خطى النبي ﷺ..

المحور الرابع: مرضاة الله:

قالوا: أقبَلَ الحُرُّ بنُ يَزيدَ حَتّى نَزَلَ حِذاءَ[٤٩] الحُسَينِ ﷺ في ألفِ فارِسٍ، ثُمَّ كَتَبَ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ يُخبِرُهُ أنَّ الحُسَينَ نَزَلَ بِأَرضِ كَربَلاءَ.

قالَ: فَكَتَبَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ إلَى الحُسَينِ ﷺ:

أمّا بَعدُ يا حُسَينُ، فَقَد بَلَغَني نُزولُكَ بِكَربَلاءَ، وقَد كَتَبَ إلَيَّ أميرُ المُؤمِنينَ يَزيدُ بنُ مُعاوِيَةَ أن لا أتَوَسَّدَ الوَثيرَ، ولا أشبَعَ مِنَ الخُبزِ [الخمير] أو أُلحِقَكَ بَاللَّطيفِ الخَبيرِ، أو تَرجِعَ إلى حُكمي وحُكمِ يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ، وَالسَّلامُ.

فَلَمّا وَرَدَ الكِتابُ قَرَأَهُ الحُسَينُ ﷺ، ثُمَّ رَمى بِهِ، ثُمَّ قالَ: لا أفلَحَ قَومٌ آثَروا مَرضاةَ أنفُسِهِم عَلى مَرضاةِ الخالِقِ.

فَقالَ لَهُ الرَّسولُ: أبا عَبدِ اللهِ، جَوابُ الكِتابِ؟

قالَ: ما لَهُ عِندي جَوابٌ؛ لِأَنَّهُ قَد حَقَّت عَلَيهِ كَلِمَةُ العَذابِ.

فَقالَ الرَّسولُ لِابنِ زِيادٍ ذلِكَ، فَغَضِبَ مِن ذلِكَ أشَدَّ الغَضَبِ[٥٠].

وفي هذه الرواية ما يدلنا على الآتي:

أولاً: أن الإمام الحسين ﷺ حين ألقى رسالة عبيد الله بن زياد، أوصل بفعل عملي رفضه لمضمون الرسالة، ليفهم الرسول أنها مرفوضة عنده نصاً ومضموناً.

ثانياً: أن الإمام الحسين ﷺ لا يمكن له بموقعيته في الأمة، وبما أنه الإمام المعصوم أن ينزل على حكم هؤلاء القوم الضالين، الظلمة، فإن إلقاءه للكتاب يدل على أنه لا يرضى بالنزول على حكمهم، والتنازل عن الذي فيه مرضاة الله ليرضيهم.

ثالثاً: أنه ﷺ أشار إلى أن هؤلاء الظلمة ركنوا إلى أنفسهم، والسلطة قد أعمت قلوبهم، وحب التسلط حتى الإمام المفترض الطاعة صار هدفهم، لأن حب الدنيا استحوذت عليهم، وغرتهم، وجعلت منهم، عبيداً لها، لا يأتمرون بحكم الله ووليه..

رابعاً: إن مرضاة الله عز وجل هي من أسمى الأهداف عند الإمام الحسين ﷺ، لو في ذلك ذاهب نفسه الشريفة، فهو لا يهاب أي شيء في سبيل مرضاته تعالى. وذلك ما جعل الإمام

الحسين ﷺ منتصراً عليهم. فمن كان مع الله، كان الله معه مؤيداً ومسدداً..

خامساً: أن مرضاة الله سبحانه التي سعى لها الإمام الحسين ﷺ هي إحدى مقومات النصر للقيم الإلهية، والدينية.. فـ «لا أفلَحَ قَومٌ آثَروا مَرضاةَ أنفُسِهِم عَلى مَرضاةِ الخالِقِ».

سادساً: أن العذاب محق لمثل هؤلاء، لأنهم يسعون لمرضاة أنفسهم على حساب ولي الله، وأقدس، وأطهر إنسان على وجه الأرض.. فلعنهم الله لعنة الأولين والآخرين.

سابعاً: أن غضب ابن زياد لم يكن لله وهذا واضح، بل غضبه كان حمية لنفسه، لأنه جاء من يفضحه على حقيقته، ويخبر عن سرائره الدنيئة.. وهذا ما جعلهم يقدمون على ما أقدموا عليه من جريمة نكراء..

المحور الخامس: التعلق بالله:

لما كان الدعاء هو أحد الوسائل والوسائط في التقرب من الله عز وجل، وصورة من صور التعلق بالذات الإلهية المقدسة، والإمام الحسين ﷺ هو من أفضل الخلق تقرباً وتعلقاً به عز وجل، ويتجلى ذلك في أدعيته يوم عاشوراء، وفي اللحظات الأخيرة من عمره الشريف، ولسانه يلهج بذكر الله سبحانه وتعالى..

روي عن علي بن الحسين زين العابدين ﷺ قال: لَمّا صَبَّحَتِ الخَيلُ الحُسَينَ ﷺ، رَفَعَ يَدَيهِ وقالَ: «اللّهُمَّ أَنتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجائِي في كُلِّ شِدَّة، وَأَنتَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّة. كَمْ مِن هَمٍ يَضْعُفُ مِنهُ الفُؤاد، وَتَقِلُّ فِيهِ الحِيلَةَ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّديق، وَيَشمَتُ فِيهِ العَدوُّ، أَنْزَلتُهُ بِك، وَشَكَوتُهُ إِلَيْك، رَغبَةً مِنّي إِلَيْك عَمَّنْ سِواكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفتَهُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهىً كُلِّ رَغبَة»[٥١].

وروي عنه أيضاً أنه دعا بهذا الدعاء الأخير يوم الكوثر[٥٢]: «اللّهُمَّ أَنْتَ مُتَعالِي المَكانِ، عَظِيمُ الجَبَروتِ، شَدِيدُ المِحال، غَنِيٌّ عَنِ الخَلائِقِ، عَرِيضُ الكِبْرِياءِ، قادِرٌ عَلى ما تَشاءُ، قَرِيبُ الرَّحْمَةِ، صادِقُ الوَعْدِ، سابِغُ النِّعْمَةِ، حَسَنُ البَلاءِ، قَرِيبٌ إِذا دُعِيتَ، مُحِيطٌ بِما خَلَقْتَ، قابِلُ التَّوْبَةِ لِمَنْ تابَ إِلَيْكَ.

قادِرٌ عَلى ما أَرَدْتَ، وَمُدْرِكٌ ما طَلَبْتَ، وَشَكُورٌ إِذا شُكِرْتَ، وَذَكُورٌ إِذا ذُكِرْتَ؛ أَدْعُوكَ مُحْتاجاً، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فَقِيراً، وَأَفْزَعُ إِلَيْكَ خائِفاً، وَأَبْكِي إِلَيْكَ مَكْرُوباً، وَأَسْتَعِينُ بِكَ ضَعِيفاً،

وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ كافِياً، أُحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا، فَإِنَّهُمْ غَرُّونا، وَخَدَعُونا، وَخَذَلُونا، وَغَدَرُوا بِنا، وَقَتَلُونا. وَنَحْنُ عِتْرَةُ نَبِيِّكَ، وَوَلَدُ حَبِيبِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله، الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ بِالرِّسالَةِ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلى وَحْيِكَ، فَاجْعَلْ لَنا مِنْ أَمْرِنا فَرَجاً، وَمَخْرَجاً، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[٥٣].

وهذه الأدعية الشريفة تبين لنا مرتكزات نهج أهل الإيمان السليم، منها:

أولاً: أن هناك نوعين من البشر، أهل الباطل وأهل الحق، فأما أهل الباطل فكل اهتمامهم هو العمل على تقوية الأمور الذاتية والمادية في جانبهم، بحيث يعتمدون على القدرات العسكرية، وما يشتمل عليه من سلاح وعتاد، ويرتكز في أنفسهم أنه كلما زادت قوتهم المادية هذه كلما كان الأمل بالنصر أكبر وفرصه أكثر.

أما أهل الحق، وعلى قلة عددهم، وكثرة الأعداء من حولهم، وتضييق الخناق عليهم، فإن اهتمامهم مختلف تمام الاختلاف عن أهل الباطل، فتراهم قد سلموا جميع أمورهم وأحوالهم، وشؤونهم في حال الضيق أو الفرج، للتدبير الإلهي الذي وضعه في تسيير أحوال الكون، وهذا التسليم لهذه السنن الكونية، والأهداف التي وضعها، ما هو إلا طمعاً في مرضاته سبحانه وتعالى. وكل هموم هذه الثلة من أهل الحق هو تحقيق الأهداف الإلهية بكل توابعها..

ثانياً: أن أهل الباطل بما حصل لهم من قدرات مادية جعلتهم يتجبرون، ويبطشون ويظلمون، حتى اختصروا كل معاني القوة التي أغرتهم وجعلت منهم أداة طيعة بيد سلطان متجبر، عنده نفس فرعونية، فسخر كل تلك القوة من أجل ذاته وأهوائه، فبئس مثل القوم.

أما أهل الحق، فإن نظرتهم إلى ما سخره الله لهم في هذا الوجود هي نظرة رحبة، فإنهم من خلال هذا الفهم الحقيقي لأصل وجودهم يضعون كل شيء في موضعه الحقيقي، بما يتوافق مع السنن الإلهية، والهداية الربانية. ومع ذلك فإنهم لا يؤولون جهداً، ولا يتركون فرصة على الصعيد الشخصي إلا واستثمروه، وحرصوا عليه، وأعطوه دوره الكامل، واعترفوا بقيمته الحقيقية، وحيويته الفاعلة.

وانطلاقاً من هذه المرتكزات، إثباتاً وتأكيداً على هذه الحقائق: كان دعاء الإمام الحسين عليه السلام في هذه اللحظات العصيبة، وهذا التوقيت بالذات..

ثالثاً: لقد أظهرت هذه الأدعية ثقة مطلقة، وتوكلاً كلياً على الله، وخاصة في الشدائد والبلايا، بل أظهرت أيضاً إيمان يقيني بأن الله وحده هو الذي يكشف الكرب، ويزيح الهم..

رابعاً: أن الإمام الحسين عليه السلام توجه إلى الله وحده دون غيره حاصراً رجاءه به، مع الأمل به أنه هو القادر على كل شيء، في هذه الشدة وفي كل شدة..

خامساً: الإنسان المؤمن الكامل لا يجد في نفسه حولاً ولا قوة من دون الله، فهو لا يعول على قدرته الذاتية، بما لديه من قوى كالتفكير، والعدة، والقوة الجسدية، وهو لا يعتد بها مثل باقي الناس، بل المعول عليه هو الله القادر..

سادساً: يؤكد الإمام الحسين عليه السلام في دعائه على قرابته من النبي صلى الله عليه وآله، ومكانته من هذا الدين، ويشكو الى الله كيف أن أمته ضيعت حقوقه، لا بل اعتدت عليه ظلماً وعدواناً وقتلته مظلوماً..

سابعاً: لا يرى الإمام الحسين عليه السلام مخرجاً له إلا برحمة من الله عز وجل، مسلماً أمره له في كل الأحوال، متعلقاً بجنابه..

هذا هو حال العارف بالله، المتعلق به فهو لا يرى لنفسه وجوداً حقيقياً إلا بوجوده في الله، وهو ذائب فيه، بكل حركة من حركاته، وبكل سكنة من سكانته.. وهذه تعتبر من أعلى القيم التي تجعله منتصراً..

المحور السادس: وارث الأنبياء:

من كان مقومات نصره القيم التي سار عليها أنبياء الله فيما سبق، وحاول بكل وجوده أن يطبقها، وبشهادته أن يحيها من جديد، فلا بد أن يكون مستحقاً لأن يكون وارثاً لهذا الخط الرسالي، وهذا هو النصر بعينه، فالنصر لا يكون فقط بالانتصار في معركة أو حرب ما، بل النصر الحقيقي هو أن يظل ذكر صاحب النصر مخلداً، وبنظرة سريعة أين هو ذكر يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم من الطواغيت..

وانظر في ذلك الخط الرسالي والقيم الإلهية الخالصة لله عز وجل، والتي مثلها الإمام الحسين عليه السلام من خلال نهضته الشريفة حتى استحق بذلك أني يكون «وارث الأنبياء».

فأصبح الإمام الحسين ﷺ وارثاً لآدم أبي البشر ﷺ من حيث كونه صفوة الله،

ثم ورث نبي الله نوحاً ﷺ بما اختصه من النبوة والارتباط المباشر بالله عز وجل، وكما أنه تلقى المعارف منه سبحانه.

وهو وراث إبراهيم ﷺ بخصوصية الخلة والقرب من الله سبحانه، ووارث إسماعيل ﷺ بكونه ذبيح الله، وموسى ﷺ من حيث هو كليم الله، ومن ثم عيسى ﷺ من حيث كونه روح الله، ويرث خاتم الأنبياء والرسل محمداً ﷺ من باب كونه حبيب الله، فالإمام الحسين ﷺ قد ورث جميع الأنبياء ﷺ بخصوصياتهم هذه كلها والتي كانت أبرز ميزاتهم، وصفاتهم، وأظهر ما فيهم وأتمها..

فكل من تمسك بهذا النهج الحسيني، ومشى على خطاه الخالدة، فإنه في الركب النبوي الرسالي، الذي يحبه الله ورسوله، وبالتالي فإن الانتصار لهذه القيم، لهو النصر الحقيقي والتام، الذي لا يشوبه أي نقص أو اختلال، بل هو نصر كامل، مظفر، كما هو حال الانتصار النهضة الحسينية المباركة..

وبالتالي فإن هذا مختصر في مقولة أمير المؤمنين ﷺ حيث قال: «فَالمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ»[٥٤].

فإن القهر والذلة، هو الموت بعينه، وإن كان حياً يرزق في صورة الأحياء، فقد قال تعالى: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وما يَشْعُرُونَ﴾[٥٥]. والحياة الخالدة في الموت قاهرين لأعداء الله، ومظهرين الحق زاهقين للباطل، فتلك هي الحياة الطبيعيّة في الموت، مع القهر لأعداء الله. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥٦].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٥٧].

فإن الغاية «الَّتي عساهم يفرّون من القتال خوفاً منها وهي الموت موجودة في الغاية الَّتي عساهم يطلبونها من ترك القتال، وهي الحياة البدنيّة حال كونهم مقهورين. وتجوّز بلفظ الموت في الشدائد والأهواء الَّتي تلحقهم من عدوّهم لو قهرهم وهى عند العاقل أشدّ بكثير من موت البدن وأقوى مقاساة فإنّ المذلَّة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللبّ

موتات متعاقبة، ويحتمل أن يكون مجازاً في ترك عبادة اللهَّ بالجهاد. فإنّه موت للنفس وعدم لحياتها برضوان اللهَّ، وكذلك جذبه لهم أنّ الغاية الَّتي تفرّون إليها بترك القتال وهى الحياة موجودة في الغاية الَّتي تفرّون منها، وهي الموت البدنيّ، حال كونهم قاهرين. أمّا في الدنيا فمن وجهين: أحدهما الذكر الباقي الجميل الَّذي لا يموت ولا يفنى.

الثاني: أنّ طيب حياتهم الدنيا، إنّما يكون بنظام أحوالهم بوجود الإمام العادل وبقاء الشريعة كما هي، وذلك إنّما يكون بإلقاء أنفسهم في غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها. ولفظ الموت مهمل تصدق نسبته إلى كل شخص وإن وجد في بعضهم، وأمّا في الآخرة فالبقاء الأبدي بالمحافظة على وظائف اللهَّ والحياة التامّة في جنّات عدن»[٥٨].

وسيظل النهج الحسيني من خلال النهضة المباركة محفوظاً، صادعاً، متكرراً، في كل مرة يتصدى فيها أهل الحق لأهل الباطل..

وسيظل نداء الإمام الحسين عليه السلام خالداً إلى يوم القيامة، مختصراً كل معاني النصر القيمي، في قوله عليه السلام: «ألا وإنَّ الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قَد رَكَزَ بَينَ اثنَتَينِ، بَينَ السَّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وهَيهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ، يَأبَى اللهُ لَنا ذلِكَ ورَسولُهُ وَالْمُؤمِنونَ، وحُجورٌ طابَت، وحُجورٌ طَهُرَت، وأُنوفٌ حَمِيَّةٌ، ونُفوسٌ أبِيَّةٌ، مِن أن تُؤثَرَ طاعَةُ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الكِرامِ»[٥٩].

الخلاصة والخاتمة:

هذا البحث المقتضب الذي بين يدي القارئ الكريم، لم يقف على كل تلك المقومات للنصر القيمي، ولا أدعي أنني أستطيع أن أحصيها جميعها أو جلها، فإن مواقف الإمام الحسين عليه السلام وأقواله وأفعاله ومواقفه ضمن هذه النهضة المباركة هي كثيرة، وكثيرة جداً تحتاج من الباحث المتأمل، وذي الرأي الحصيف، إلى مطولات، ونحن في موضع الاختصار، والوقوف على أهمها لا يمكن الأخذ بها، وتبيانها بما تتيح لنا الفرصة لذلك، ولا يمكن الادعاء أننا أحصيناها كلها وبشكل كامل وتام..

وأقول: إن مثل هذه الأبحاث وغيرها، هي السبيل لتقصي أحوال النهضة الحسينية تحتاج لمجهود كبير، واجتماع أهل العلم لكي يتبينوا الأسس والأهداف لتلك النهضة المباركة، وإن تضافر الجهود ما يمكن التعويل عليه في مثل هذا النوع من الأبحاث.

إن الهدف من هذا البحث:

أولاً: هو وضع لبنة، أو حجر أساس يبنى عليه ويؤسس من خلال انطلاقة لأبحاث أخرى، ومحاور عديدة كانت أيضاً من صلب المقومات للنصر القيمي.

ثانياً: إضافة شيء جديد في طرق البحث العلمي الديني، التي تساعد على إظهار القيم الدينية التي حارب من أجلها الأئمة المعصومون عليهم السلام، والمتمثلة هنا بالنهضة الحسينية المباركة.

ثالثاً: إظهار النهج الحسيني في استنهاض الأمة من كبوتها، وإيقاظها من غفوتها، الذي يصلح لجميع الأزمنة وفي جميع الأمكنة، وذلك أن هذا النهج لم يكن مقتصراً فقط على زمانه، وليس هو بالحالة الخاصة التي تقتصر على من عاصروه فقط. بل هذا النهج الإمامي هو نهج خالد، قد خلده الإمام الحسين عليه السلام بدمه، وهو حي بذكره.

رابعاً: مقارنة النهج الحسيني الرامي لإنقاذ الأمة وإسعادها، وإظهار أهدافه، وشعاراته، ورموزه، وبين نهج أعدائه من أهل الباطل ومن لف لفهم، والذي يمكن أن يقال عنه إنه: نهج عدوان وإجرام، وإذلال للعباد، وإفساد في البلاد، وشعاراتهم وأهدافهم كانت شعارات فساد وإفساد، ورموزهم وشخصياتهم كانوا أشر وأحط الناس.

خامساً: إبراز مثل هذه المقومات التي تساعد في تغيير أحوال الأمة، وتساعد في نهضتها من جديد.

وأخيراً، لا يسعني القول إلا التقدم بخالص الشكر والامتنان الى «مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات في العتبة العباسية المقدسة» وكل المؤسسات والمراكز المتخصصة في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام، واقتفاء اثارهم الشريفة، والذين كانوا السبب المباشر ومن خلال «مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام» لكي اتشجع لكتابة هذا البحث المتواضع..

وأرجو من الله عز وجل أن يتقبل هذا القليل مني في حق المولى الإمام الحسين عليه السلام، وأتقدم من القارئ الكريم بجزيل الشكر والامتنان لقراءة ما خطته يدي، راجياً منه التفضل عليّ بالنصيحة، والتجاوز عن الأخطاء التي سهوت عنها..

أخوكم الفقير إلى الله، عبد الله وعبدهم..

السيد يوسف شفيق البيومي/ الرضوي.

حرر في: لبنان – صيدا: ليلة ١٥ شعبان ١٤٣٧ هـ. ق.

ذكرى ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

الموافق له: ٢١ آيار ٢٠١٦ م.

الهوامش

١- راجع: كشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص٧ والسنة في الشريعة الإسلامية لمحمد تقي الحكيم ص٦٣ والأمالي للصدوق ص٣٨٧ و ٤٦٩ والخصال ص٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ وإكمال الدين ص٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وكفاية الأثر ص٥١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ = = وشرح أصول الكافي ج٢ ص٢٤٠ وج٥ ص٢٣٠ وج٧ ص٣٧٤ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والغيبة للطوسي ص١٢٨ و ١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ والطرائف لابن طاووس ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣١ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٩٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨١ و ٣٨٦ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٩٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٤٥ والمسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص٢٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ وإعلام الورى ج٢ ص١٥٩ و ١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٥٧ و ٥٨ ومسند أحمد ج٥ ص٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص١٢٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣ و ٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٩ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٤٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ و ٦١٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠١ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٩٠ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨١ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٠٥ و ١٨٠ ومسند ابن أبي الجعد ص٣٩٠ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٢٦ و ١٢٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥١٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٣ و ٤٤ و ٤٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص٢٠١ وج٦ ص٢٠٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٥ و١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ وج٢٢ ص١٢٠ والرواة عن سعيد بن منصور لأبي نعيم الأصبهاني ص٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٢ ص٩٠ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وج١٤ ص٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٩١ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٨٤ وج١٤ ص٤٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٧٦ والبداية والنهاية ج١ ص١٧٧ وج٦ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٢ ص٣٠٢ و ٢٠٣ وينابيع المودة ج٣ ص٢٨٩.

٢- مختصر مفيد للسيد جعفر مرتضى العاملي (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، لبنان، بيروت، ٢٠١٤م، ج١٧ ص٧٥.

٣- كتاب العين للفراهيدي ج٥ ص٢٣٣.

٤- الآية ٤ من سورة القلم.

٥- الآية ٤ من سورة القلم.

٦- معاني الأخبار للصدوق ص١٨٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج٦٨ ص٣٨٢ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩١ وتفسير كنز الدقائق للقمي المشهدي ج١٣ ص٣٧٧.

٧- بحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢١٠ وج٦٨ ص٣٨٢ وميزان الحكمة للريشهري ج١ ص٨٠٠ وتفسير

القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص٣٨٢ والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ج١٠ ص٧٥ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٨٦ والمنتخب في تفسير القرآن لابن ادريس الحلي ج٢ ص٣٤٥ وج٣ ص٣٠٣ وروض الجنان لأبي الفتوح الرازي (فارسي) ج١٩ ص٣٤٦ والتفسير الأصفى للفيض الكاشاني ج٢ ص١٣٣٥ وج٥ ص٢٠٨ والبرهان في تفسير القرآن للسيد البحراني ج٥ ص٤٥٥ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩٢ وتفسير الميزان للطباطبائي ج١٩ ص٣٧٧ وجامع البيان لابن جرير الطبري ج٢٩ ص٢٤ وتفسير السمعاني ج٦ ص١٨ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص٢٢٧ والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ص١٣٥ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٢٥١.

٨- مسند الرضا ﷺ لابن سليمان الغازي ص١٣١ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢١٠ وج٦٨ ص٣٨٢ ومواقف الشيعة للميجاني ج٣ ص٤٥٢ وميزان الحكمة للريشهري ج١ ص٨٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٩٢ ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٦ ومسند الشهاب للقضاعي ج٢ ص١٩٢ والاستذكار لابن عبد البر ج٨ ص٥٧٦ وج١٦ ص٢٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢١١ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٣ ص٦١١ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٨٦ وزبدة التفاسير لفتح الله الكاشاني ج٧ ص١٤٠ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩٢ وتفسير كنز الدقائق للقمي المشهدي ج١٣ ص٣٧٧ والتفسير الكاشف للشيخ مغنية ج١ ص٣٩ وج٥ ص٣٣ وج٧ ص٥٥٣ وتفسير الأمثل للشيرازي ج١٨ ص٥٢٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٢٤٨ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي ج١ ص٣٠١، وغيره الكثير من المصادر.

٩- وسائل الشيعة للحر العاملي (ط آل البيت) ج١٢ ص١٧٤ و(ط الإسلامية) ج٨ ص٥٢١ والآمالي للطوسي ص٤٧٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج١١ ص١٥٦ وج٦٦ ص٣٧٠ و٣٧٥ وج ٦٨ص٤٢٠ وج٨٩ ص١٩٧ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٩١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٧٤ وج٩ ص١٠٣ وراجع أيضاً: الأمالي للصدوق ص٤٤١.

١٠- الآية ٣٠ من سورة الروم.

١١- الآية ٤٠ من سورة يوسف.

١٢- الآية ٣٦ من سورة التوبة.

١٣- اقتصادنا للسيد محمد باقر الصدر «قدس سره» (تحقيق المكتب الإعلامي الإسلامي)، مؤسسة بوستان، ط٢، إيران، خراسان، ١٤٢٥ هـ. ق، ص٣١٣.

١٤- راجع: الأمالي للطوسي ص٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧ والتحصين لابن طاووس ص٥٥٨ و ٥٥٩ والطرائف لابن طاووس ص٨٢ والمحتضر للحلي ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٨ ص٦٨ وج٣٩ ص١٩٦ و ٢٠٢ و ٢٣٤ وكشف الغمة ج٢ ص٢٤ ونهج الإيمان ص٥٠٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٦٤ وذكر أخبار أصبهان ج١ ص٣٤٢ وبشارة المصطفى ص٢٢٧ و ٣٠٩ ونور الثقلين (تفسير) ج٤ ص٤٠١ وينابيع المودة ج١ ص٣٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص١١٩ عن جملة من المصادر.

١٥- راجع: تفسير سورة الانشراح، للمحقق السيد جعفر مرتضى العاملي ص٧٩ وسيرة الإمام الحسين ﷺ في

الحديث والسيرة للمحقق السيد جعفر مرتضى العاملي ج٤ ص٥٧.

١٦- راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٣٧ رقم الحديث ١٤٧ والإرشاد ج١ ص٢٢٨ والخصال ص١٨٧ والأمالي للصدوق ص٢٥٣ والأمالي للطوسي ص٢١ وكمال الدين ص١٣٩ و ٢٠٧ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ والأمالي للمفيد ص٢٥٠ وبصائر الدرجات ص٥٠٦ ورسائل في الغيبة للمفيد ج٢ ص١٢ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٤٨ و ٤٩ وج١ ص٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢١١ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٦ و ٤٨ و ٤٩ وج٥٢ ص٩٢ ونهج السعادة ج١ ص٤٩٥ وج٨ ص٢١ وعيون الحكم والمواعظ ص٥٤١ ودستور معالم الحكم لابن سلامة ص٨٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص٢٥٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٠٦ والمعيار والموازنة ص٨١ ونزهة الناظر للحلواني ص٥٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٣٤٧ وإعلام الورى ج٢ ص٢٢٨ وينابيع المودة ج١ ص٧٥ وج٣ ص٣٦٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٠٥ والغيبة للنعماني ص٣٢ و ١٣٦ وتفسير القمي ج١ ص٣٥٩ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٤٨٤.

١٧- راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦١ وغنية النزوع ص٣٢٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٣٦٨ و ٤٠٤ وتذكرة الفقهاء ج٥ ص٤٣٥ و (ط قديمة) ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص٤٣٧ ومختلف الشيعة ج٣ ص٣٣٣ وج٦ ص٣٠٨ و ٣٣٠ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣١١ وج٨ ص١٦٥ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٧٠ و ٨٥٧ وتلخيص الشافي ج٤ ص١٧٠ ونور الثقلين ج٣ ص٢٩٠ وج٤ ص٢٨٤ والميزان ج٤ ص٣١٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠ والمسائل الجارودية للمفيد ص٣٥ والمستجاد من الإرشاد للعلامة (المجموعة) ص١٥٧ والصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص١٣٠ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص١٧٩ والتعجب للكراجكي ص١٢٩ والفصول المختارة للمرتضى ص٣٠٣ وروضة الواعظين ص١٥٦ وكفاية الأثر ص٣٨ و ١١٧ والفرق بين الفرق ص٢٥ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٣ و ١٦٣ والفضائل لابن شاذان ص١١٨ والطرائف لابن طاووس ١٩٦ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٣٠ وج٤ ص٩٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢٩٠ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٠٧ وج٢١ ص٢٧٩ وج٣٥ ص٢٦٦ وج٣٦ ص٢٨٩ و ٣٢٥ وج٧٣ ص٧ وج٣٧ ص٢٩٨ و ٢٩١ وج٤٤ ص٢ و ١٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٧ و ٤٢١ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٦ وج٢ ص٢٢٥ و ٢٤٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧١٧ و ٧٣٢ وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة ص١٦٨ ونزهة المجالس ج٢ ص١٨٤ وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي أنه صلى الله عليه وآله قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج٢ ص٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٨٢ وج١٩ ص٢١٦ و ٢١٧ عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص١٩٥ وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص١٨ و ٦٧ وينابيع المودة ص٤٤٥.

١٨- راجع: كمال الدين وإتمام النعمة للصدوق ص٢٦٠ وبحار الأنوار للمجلسي ج٣٦ ص٢٥٤ ومسند الإمام الرضا عليه السلام للعطاردي ج١ ص٢٢٠ والبرهان في تفسير القرآن للسيد البحراني ج٤ ص١٩٥ وأهل البيت في الكتاب والسنة للريشهري ص ٤٦٤ والقرآن وفضائل أهل البيت عليهم السلام للأنديمكشي ص٣٧٦ وغاية المرام

وحجة الخصام للسيد البحراني ج٢ ص١٥٨ وج٧ ص١٢٧ وإلزام الناصب لليزدي الحائري ج١ ص٧٦ وشرح إحقاق الحق للمرعشي ج١٣ ص٦٧ وفرائد السمطين للحموييني ج١ ص٥٥.

١٩- الضوء اللامع (دار الجيل) ج٤ ص١٤٧ وفيض القدير بشرح الجامع الصغير ج١ ص٢٦٥ وج٥ ص٢١٣ ولكنهم قالوا: إن ذلك لم يوجد في تاريخ ابن خلدون، والحق أنها كانت في النسخة الأولى لذلك الكتاب، ثم حذفها منه في النسخة الثانية.

٢٠- راجع: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي-(ط دار الفكر) ص١٩٣.

٢١- راجع: رسالة ابن تيمية: سؤال في يزيد بن معاوية (لعنه الله) ص١٤ و١٥ و١٧، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (مكتبة دار التراث، مصر) ص٢٣٢ و٢٣٣ وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج٣ ص١٢٥ والإتحاف بحب الأشراف لعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي ص٦٧ و ٦٨ والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لإبن حجر الهيتمي (مؤسسة الرسالة، بيروت) ص٢٢١ وخطط الشام لمحمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (مكتبة النوري، دمشق) ج١ ص١٤٥ وقيد الشريد من أخبار يزيد لابن طولون (دار الصحوة للنشر) ص٥٧ و ٥٩.

٢٢- راجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٣٢٥، الإمام الحسين ﷺ لعبد الله العلايلي ج١٧ ص١٧٤ و ١٧٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ط النجف) ص٢٣٥.

٢٣- راجع: مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم من ص٦ حتى ص١٦.

٢٤- مثير الأحزان لابن نما ص١٢ وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٢٦٦، الإمام الحسين ﷺ لعبد الله العلايلي ج١٧ ص١٣٧ والدر النظيم لليافعي ص٥٤٠ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٥٧.

٢٥- سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات) ج١٥ ص١٤.

٢٦- سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات) ج١٥ ص١٦.

٢٧- لسان العرب لابن منظور ج٧ ص٢٤٥.

٢٨- المصدر السابق.

٢٩- المصدر السابق.

٣٠- الآية ٥٩ من سورة النساء.

٣١- الآية ٨٣ من سورة النساء.

٣٢- الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

٣٣- الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

٣٤- الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٠٥ والعوالم ج١٧ ص٨٣ و ٨٤ وراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص١٩٥ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٤٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٦٧ و (ط المكتبة

الحيدرية) ج٣ ص٢٢٣.
٣٥- الآية ٣٠ من سورة الأنفال.
٣٦- الآية ٩ من سورة يس.
٣٧- راجع ما تقدم في المصادر التالية: المناقب للخوارزمي الحنفي ص٧٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصححاه، ومسند أحمد ج١ ص٣٢١ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٣٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٠٠ والبرهان ج١ ص٢٠٧ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٣٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي (ط النجف) ص٦٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠ عن أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير واحد وهو ثقة، وعن الطبراني في الكبير والأوسط، وبحار الأنوار ج١٩ ص٦٠ و ٧٨ و ٩٣ عن الطبري وأحمد، والعياشي، وكفاية الطالب، وفضائل الخمسة ج١ ص٢٣١ وذخائر العقبى ص٨٧ وكفاية الطالب ص٢٤٢. وقال: إن ابن عساكر ذكره في الأربعين الطوال، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، من تاريخ ابن عساكر (تحقيق المحمودي) ج١ ص١٨٦ و ١٩٠ ونقله المحمودي في هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث٢٩١ وعن غاية المرام ص٦٦ عن الطبراني ج٣ في الورق ١٦٨/ ب وفي هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٣. وأما الفقرات الأخرى فهي موجودة في مختلف كتب الحديث والتاريخ. وراجع: حلية الأبرار ج١ ص١٤٤ والميزان ج٩ ص٨١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٣٧ و ٣٧٦ والأمالي للطوسي ص٤٦٦ ومستدرك الوسائل ج٥ ص١٥٥ و ٤٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٥ ص٤٧٥ وكشف الغمة ج٢ ص٣٠.
٣٨- الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٤ وروضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ و ٣٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ و ١٧٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ و ١٧ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٤ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٢٨ وتذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ ومصادر كثيرة أخرى.
٣٩- الملهوف ص٣٩ و ٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٤ ولواعج الأشجان ص٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ وعن معالي السبطين ج١ ص٢٥١.
٤٠- الآية ٢١ من سورة القصص.
٤١- الإرشاد للمفيد ص٢٢٣ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ص٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ ج١٧ ص١٨١ وتفسير كنز الدقائق ج١٠ ص٥٣.
٤٢- بحار الأنوار ج٤٥ ص٩٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٢٣ وينابيع المودة ج٣ ص٦٠ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٣٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٩ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦٧ وراجع: مدينة المعاجز ج٣ ص٤٨٥ ولواعج الأشجان ص٧٢ و ٢٥٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ و ٦٢٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٠٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٠٦.

٤٣- الآية ٢٢ من سورة القصص.
٤٤- الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨١ ولواعج الأشجان ص٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٣٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ والإرشاد (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٥ وروضة المواعظين ص١٩٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ والأغاني ج١٨ ص٤٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وتفسير كنز الدقائق ج١٠ ص٥٣. .
٤٥- سيرة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتاريخ للسيد جعفر مرتضى العاملي ج١٢ ص١.
٤٦- راجع: المسائل العكبرية للمفيد ج٦ ص٦٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٦، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٦ والملهوف ص١٢٦ و(نشر أنوار الهدى) ص٣٨ ومثير الأحزان ص٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٩ وكشف الغمة ج٢ ص٢٣٩. وراجع: الحدائق الوردية ج١ ص١١٤ وتيسير الوصول ص١٩٩ ونزهة الناظر ص٨٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ح١ ص٥ ولواعج الأشجان ص٧٠ وإبصار العين ص٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٥٩٩.
٤٧- الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.
٤٨- مقالات ودراسات للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدراسات) ط١، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٢.
٤٩- حذاء: أي سار سريعاً حتى أدركه، وقيل: سِرَيعُ الإِدْراكِ.
٥٠- الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٤ ومقتل الحسين ج١ ص٢٣٩ ومطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٤ عنهم، وعن كشف الغمة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٣ وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨.
٥١- الإرشاد ج٢ ص٩٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٤ وتاريخ الأمم والمولك ج٥ ص٤٢٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣١٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٩ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٢٦٥ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦٠ وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠١ ونظم درر السمطين ص٢١٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١١٥ وإبصار العين ص٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١٣ وج١٢ ص٢٩٣ وج١٩ ص٤١٥ وج٢٧ ص٢٠٩.
٥٢- يوم كوثر، مبنية للمجهول: أي صار مغلوباً بكثرة العدو.
٥٣- مصباح المجتهد للطوسي ص٨٢٧ والمزار للمشهدي ص٣٩٩ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٣ ص٣٠٤ والمصباح للكفعمي ص٥٤٤ وبحار الأنوار للمجلسي ج٩٨ ص٣٤٨ وموسوعة مكاتيب الأئمة عليهم السلام لنجف آبادي ج٢ ص٢١٨ والبلد الأمين والدرع الحصين للكفعمي ص١٨٦.
٥٤- نهج البلاغة (خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) تحقيق صالح، ص٨٩.

٥٥- الآية ٢١ من سورة النحل.
٥٦- الآية ١٦٩ من سورة آل عمران.
٥٧- الآية ١٥٤ من سورة البقرة.
٥٨- شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي) ط١، ١٣٦٢ هـ. ش، قم المقدسة، إيران، ج٢ ص١٣٦.
٥٩- الملهوف ص١٥٥ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٨ والإحتجاج ج٢ ص٩٧ ح١٦٧ و (ط دار النعمان) ج٢ ص٢٤ وتحف العقول ص٢٤٠ ومثير الأحزان ص٥٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٩ كلها نحوه، وراجع: إثبات الوصية ص١٧٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨٣ و ١٠، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥٢ ولواعج الأشجان ص١٢٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٢ وإبصار العين ص٣٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١١٤ - ١١٦ عن تلك المصادر.

المصادر والمراجع

* الأمالي، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – إيران، ١٤١٧ هـ. ق.
* اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر «قدس سره»، (تحقيق المكتب الإعلامي الإسلامي)، الطبعة الثانية، مؤسسة بوستان، إيران، خراسان، ١٤٢٥ هـ. ق.
* إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي(المتوفى سنة ٨٤٥ هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
* الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، دار الراية – الرياض، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.
* الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
* أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق: حسن الأمين، الطبعة الأولى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.
* إكمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ايران، سنة ١٣٩٥ هـ. ق.
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي «قدس سره»، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
* البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى ١١٠٧ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة البعثة، قم المشرفة – إيران.
* البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة – مصر.
* تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
* تفسير نور الثقلين، المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي «قدس سره»، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الأولى، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة – إيران، ١٣٨٢ هـ. ق.
* تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من اعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، إيران، ١٣٦٦ هـ. ش.
* التفسير الأصفى في القرآن الكريم، محمد محسن الفيض الكاشاني «قدس سره» (المتوفى ١٠٩١ه)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرفة – إيران، ١٤١٨ هـ . ق – ١٣٧٦ هـ. ش.
* التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبى جعفر

محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ١٢٠٩ هـ. ق.
* الخصال، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الأولى، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – إيران، ١٤٠٣ هـ.
* روضة الواعظين، الشيخ الشهيد محمد بن الفتال النيسابوري (المتوفى ٥٠٨ هـ)، تقديم: السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسان، الطبعة الأولى، منشورات الرضي، قم المقدسة – إيران.
* السنة في الشريعة الإسلامية محمد تقي الحكيم (متوفى ١٤٢٣ هـ)، الطبعة الأولى، شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.
* سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ)، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
* سيرة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات)، ٢٠١٥م.
* شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (المتوفى ١٠٨١ هـ)، علق عليه: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م.
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
* الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، مطبعة الخيام، إيران، قم المقدسة، سنة ١٣٣٩هـ وسنة١٤٠٠هـ.
* العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم المقدسة، سنة ١٤٠٧هـ.
* الغيبة، الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن أبي زينب النعماني (المتوفى حدود سنة ٣٦٠ هـ ق)، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، دار الجوادين، ٢٠١١م.
* الغيبة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، قم المقدسة سنة ١٤١١هـ.
* كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (طبعة حجرية انتشارات مهدوي ـ أصفهان).
* كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي انتشارات بيدار، إيران، قم المقدسة، سنة ١٤٠١هـ.
* كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
* الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ)، تعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، ١٣٨٨ هـ. ش.
* الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد

الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

* لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار نشر أدب الحوزة، قم المقدسة – إيران، ١٤٠٥ هـ. ق.

* مناقب آل أبي طالب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف – العراق، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

* الملهوف على قتلى الطّفوف، السيّد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (السيّد بن طاووس)، المحقق: الشيخ فارس تبريزيان، دار الأسوة للطباعة والنشر.

* مقالات ودراسات، السيد جعفر مرتضى العاملي، (منشورات المركز الإسلامي للدراسات)، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩م.

* مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر – مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

* مسند ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى، مؤسسة نادر – بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

* المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (متوفى ٣٦٠ هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* المعجم الكبير، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (متوفى ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، منشورات: مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر.

* مختصر مفيد للسيد جعفر مرتضى العاملي (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، بيروت، ٢٠١٤م.

* معاني الأخبار، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي [الشيخ الصدوق]، دار المعرفة للطباعة والنشر.

* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (ط آل البيت)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي «قدس سره» (المتوفى ١١٠٤ هـ)، الطبعة الأولى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة – إيران، ١٤١٤ هـ. ق.

* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (ط الإسلامية)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي «قدس سره» (المتوفى ١١٠٤ هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

* ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (متوفي ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ . ق.

الانتفاضة الحسينية وتحرير الناس من الاستبداد والاستعباد

أ.د. سيد جواد ورعى
عضو هيئة التدريس بالمعهد البحثي الميداني والجامعي
ومدرس في الحوزة العلمية بقم المقدسة / إيران.

ملخص البحث

إنّ ثورة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام هي ردّة فعلٍ تجاه السياسة الأموية التي كانت واقعاً مريراً في التأريخ الإسلامي، فالأمويون جعلوا السلطة والمنافع الشخصية هدفين أساسيين لهم ولم يتوانوا عن ارتكاب أيّ فعلٍ يضمن لهم ذلك.

الأصول التي ارتكزت عليها حكومة الأمويين والتي بادر معاوية بن أبي سفيان إلى تطبيقها بشكلٍ عمليٍّ طوال عشرين عاماً من سلطته الجائرة، اضطرّت سليل العترة النبوية لأن يتصدّى لها وينتفض ضدّها بغية إنقاذ دين الله والأمّة الإسلامية حتّى وإن كلّفه ذلك تجرّع كأس الشهادة وسبي آل بيته.

لقد ثار الإمام الحسين عليه السلام ضدّ حكومة بني أمية في فترةٍ حسّاسةٍ بعد أن أدرك أنّهم يرومون تحويل الخلافة الإسلامية إلى حكومةٍ وراثيةٍ ومسخ الدين الإسلامي الفتي وإحياء الفكر الجاهلي من جديدٍ، وعلى أساس أهدافه السامية التي طمح إلى تحقيقها تمكّن من إنقاذ الإسلام والأمّة الإسلامية وعلّم البشرية بأسرها مبادئ الحرّية والصدق والتديّن والأمانة. ومن هذا المنطلق فقد قام الباحث في هذه المقالة بتسليط الضوء على واقع السياسة الأموية والأهداف الحسينية بشكلٍ مبسوطٍ معتمداً في ذلك على الشواهد التأريخية.

أصول سياسة بني أمية

وصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أوضاع المسلمين عند تولّي بنى أمية زمام الأمور بعبارةٍ قصيرةٍ نافذة المعنى، حيث قال: «**إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً**»[1]

وبالفعل، فقد أثبت الأمويون انحرافهم هذا قولاً وفعلاً، إذ بذل معاوية وعمّاله كلّ ما بوسعهم لإخضاع الناس لرغباتهم ولم يتوانوا عن فعل شيءٍ يضمن لهم تحقيق هذا الهدف، فسياسة معاوية ومن لفّ لفّه قد ارتكزت بشكلٍ أساسيٍّ على تلك المحاور الثلاثة التي ذكرت في الحديث الشريف والذي يمكن اعتباره إخباراً بالغيب، لذلك لم يجد الإمام الحسين عليه السلام بدّاً إلا الانتفاض على هذه الأوضاع المزرية وإصلاح واقع المجتمع الإسلامي.

١-الاستبداد الديني وخداع الرأي العام

إحدى الخصوصيات الأساسية التي اتّصف بها حكم الأمويين تمثّلت في التعدّي على الحرمات الدينية، فقد أثاروا البدع واستحلّوا الحرام وحرّموا الحلال واشتروا ضمائر مرتزقة البلاط لوضع الحديث خدمةً لمآربهم الخاصّة وتقريعاً للعلويين، كما بادروا إلى سبّ الإمام عليّ عليه السلام ولعنه على المنابر وفي جميع المناسبات العامّة. ويمكن تلخيص إجراءاتهم الشيطانية بالعبارة التالية: لقد جعلوا الدين مجرّد وسيلةٍ للاستحواذ على السلطة والتشبّث بها.

التأريخ الإسلامي يزخر بأفعالٍ كثيرةٍ من هذا القبيل وهي جليةٌ بشكلٍ يجعلنا في غنىً عن ذكر نماذج كشواهد عليها، ولكن نقول على سبيل المثال إنّ الوضّاع أبو هريرة قد نقل أحاديث يفوق عددها جميع تلك الأحاديث المروية عن الخلفاء الراشدين والسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وجميع نساء النبيّ صلى الله عليه وآله![٢] ومن جملة الصحابة الذين أقدموا على وضع الحديث في تلك الآونة، عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة؛ وعروة بن الزبير هو أحد التابعين الذين لم يتورّعوا عن ذلك.[٣]

قال شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد المعتزلي في هذا الصدد:

«فقرئت كتبه(معاويه) على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة، لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن، و حتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.»[٤]

*** نماذج على مكر بني أمية:**

- عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، قلت: فما بالكم تسبونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.[٥]

_ روي انّ عمرو بن العاص قال لعائشة: لوددت انّك قتلت يوم الجمل، فقالت: و لم لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك و تدخلين الجنة و نجعلك أكبر التشنيع على عليّ.[٦]

- كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: «أن برئت الذمة ممّن روى شيئا

مـن فضـل أبي تـراب و أهـل بيتـه»؛ فقامـت الخطبـاء في كل كـورة و عـلى كل منـبر يلعنـون عليـا ويـبرأون منـه ويقعـون فيـه وفي أهـل بيتـه وكان أشـد النـاس بـلاء حينئـذ أهـل الكوفـة لكثـرة مـن بهـا مـن شـيعة عـلي عليه السلام.(٧)

ـ كتـب ايضـاً إِلَى عُمَّالِـه نُسْـخةً وَاحـدةً إِلى جمِيـع الْبُلْـدَانِ: «انْظُـرُوا مَـنْ قَامَـتْ عَلَيْـهِ الْبَيِّنَـةُ أَنَّـهُ يُحِـبُّ عَلِيّـاً وَأَهْـلَ بَيْتِـهِ فَامْحُـوهُ مِـنَ الدِّيـوَانِ وَلَاتُجِيـزُوا لَـهُ شَـهَادَةً ثـمَّ كَتَـبَ كِتَابـاً آخَـرَ مَـنِ اتَّهَمْتُمُـوهُ وَلَمْ تَقُـمْ عَلَيْـهِ بَيِّنَـةٌ [أَنَّـهُ مِنْهُـمْ]»(٨)

ـ احتجـاج الإمـام الحسـين عليه السلام عـلى معاويـة توبيخـاً لـه عـلى قتـل مـن قتلـه مـن شـيعة أمير المؤمنين وَقَـالَ فِي جَـوَابِ كِتَـابٍ كَتَبَ إِلَيْـهِ مُعَاوِيَةُ:

«أَلَسْـتَ قَاتِـلَ حُجْـرِ بْـنِ عَـدِيٍّ أَخِـي كِنْـدَةَ وَأَصْحَابِـهِ الصَّالِحِـينَ...؟! أَوَلَسْـتَ قَاتِـلَ عَمْـرِو بْـنِ الْحَمِـقِ صَاحِـبِ رَسُـولِ اللهِ الْعَبْـدِ الصَّالِـحِ؟! أَوَلَسْـتَ الْمُدَّعِـيَ زِيَـادَ بْـنَ سُـمَيَّةَ،... ثُـمَّ سَـلَّطْتَهُ عَـلَى أَهْـلِ الْعِـرَاقِ فَقَطَـعَ أَيْـدِيَ الْمُسْـلِمِينَ وَأَرْجُلَهُـمْ وَسَـمَلَ أَعْيُنَهُـمْ وَصَلَبَهُـمْ عَـلَى جُـذُوعِ النَّخْـلِ، كَأَنَّـكَ لَسْـتَ مِـنْ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ وَ لَيْسُـوا مِنْـكَ؟! أَوَلَسْـتَ صَاحِـبَ الْحَضْرَمِيِّـينَ الَّذِيـنَ كَتَـبَ إِلَيْـكَ فِيهِـمُ ابْـنُ سُـمَيَّةَ أَنَّهُـمْ عَـلَى دِيـنِ عَـلِيٍ وَرَأْيِـهِ فَكَتَبْـتَ إِلَيْـهِ اقْتُـلْ كُلَّ مَـنْ كَانَ عَـلَى دِيـنِ عَـلِيٍ عليه السلام وَرَأْيِـهِ فَقَتَلَهُـمْ؟!»(٩)

ثمّ ذكّره بأنّه وأجداده ليس لديهم أيّ شرفٍ سوى الإسلام، حيث قال:

«وَلَـوْلَا ذَلِـكَ لَـكَانَ أَفْضَـلَ شَرَفِـكَ وَشَرَفِ أَبِيـكَ تَجَشُّـمُ الرِّحْلَتَـيْنِ اللَّتَـيْنِ بِنَـا مَـنَّ اللهُ عَلَيْكُـمْ فَوَضَعَهُـمَا عَنْكُـم»(١٠)

وأمّـا عمـر بـن عبـد العزيـز فقـد أشـار إلى التعـدّي عـلى حرمـة الإمـام عـليّ عليه السلام في عهـد خلافـة أبيـه، ووصـف ذلـك بالقـول:

كنـت أحـضر تحـت منـبر المدينـة وأبي يخطـب يـوم الجمعـة وهـو حينئـذ أمـير المدينـة فكنـت أسـمع أبي يمـرّ في خطبـه تهـدر شقاشـقه حتـى يـأتي إلى لعـن عـلي عليه السلام فيجمجـم ويعـرض لـه مـن الفهاهـة والحـصر مـا الله عـالم بـه، فكنـت أعجـب مـن ذلـك، فقلـت لـه يومـا: يـا أبـت! أنـت أفصـح النـاس وأخطبهـم فـما بـالي أراك أفصـح خطيـب يـوم حفلـك حتـى إذا مـررتَ بلعـن هـذا الرجـل، صرت

ألكن علياً؟ فقال: يا بنيّ! إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل، ما يعلمه أبوك لم يتّبعنا منهم أحد.[١١]

ومن هنا قرّر عمر بن عبد العزيز اجتثاث هذه السنّة الخبيثة فور تولّيه زمام الأمور.

وقال عمر بن عبد العزيز: «فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ، لأغيّرنّه فلمّا منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك»[١٢] إلا أنّ الناس اعتقدوا بأنّه ارتكب معصيةً كبرى باتّخاذه هذا القرار.[١٣]

٢ . استعباد الناس

الميزة الأخرى التي اتّصف بها حكم الأمويين هي أنّهم اعتبروا الناس عبيداً لهم، حيث اتّخذوا **(عباد الله خولاً)** كما قال رسول الله ﷺ.

الإمام الحسين عليه السلام هو الآخر وصف عهد حكمهم الجائر بكلامٍ يشابه ما قاله جدّه النبيّ الأكرم ﷺ للخواصّ من صحبه، حيث أنّب الحاضرين في اجتماعٍ عقد بمنى إبّان السنوات الأخيرة من حياة معاوية بن أبي سفيان، وخاطبهم بالقول:

«... فاسلمتم الضعفاء فى ايديهم فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشة مغلوب ... والناس لهم خَوَلٌ لايدفعون يد لامسٍ، فمن جبّار عنيد وذى سطوة على الضعفة شديد، ومطاع لايعرف المبدىء والمعيد»[١٤] **و** [١٥]

يكون «خَوَل» بمعنى «العبيد والاماء»،[١٦] بل «النَّعَم».[١٧] إنّ كلمة (خول) تدلّ على شدّة المصيبة التي ألمّت بالمجتمع الإسلامي في العهد الأموي، فقد ذكرت من قبل النبيّ ﷺ وسبطه الحسين عليه السلام للدلالة على أنّ بني أمية جعلوا الناس عبيداً لهم وخدماً كالبهائم التي تسخّر للخدمة فحسب. وهناك شعرٌ منسوبٌ للإمام الحسين عليه السلام يشير إلى هذا الأمر أيضاً، وهو:

«وقعنا فى الخطايا والبلايا وفى زمن انتقاض واشتباه
تفانى الخير والصلحاء ذلّوا وعزّ بذلّهم اهل السّفاه
وباء الآمرون بكلّ عرفٍ فما من منكر فى الناس فاه
فصار الحرّ للمملوك عبداً فما للحرّ من مَدرٍ وجاه
فهذا شغله طمعٌ وجمعٌ وهذا غافلٌ سكران لاه»[١٨]

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ نقد بني أمية والاعتراض على تصرّفاتهم الهوجاء لم يقتصر على العلماء المسلمين شيعةً وسنّةً فحسب، بل إنّ بعض المستشرقين الذين اطّلعوا على التأريخ الإسلامي انتقدوهم وقالوا إنّهم صنّفوا المجتمع إلى ثلاث طبقاتٍ، هي:

الطبقة الأولى: الحكّام الذين ينحدرون من أصول عربية.

الطبقة الثانية: الموالي والعتقاء.

الطبقة الثالثة: أهل الذمّة (أهل الكتاب).

وقد اعتبر معاوية أهل الذمّة والقبطيين في مصر بأنّهم حيواناتٍ،[١٩] والسياسة العنصرية التي اتّبعها هذا الرجل تتعارض بالكامل مع التعاليم الإسلامية السمحاء التي تؤكّد على وجوب إقامة العدل والمساواة بين الناس من قبل الحكّام، ومن جملة الشواهد التأريخية التي تثبت انحرافه عن هذه التعاليم السمحاء كتابه إلى زياد بن أبيه الذي كان عاملاً له على الكوفة آنذاك، حيث جاء فيه:

«انظر الى الموالى ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنّة ابن الخطّاب، فانّ في ذلك خزيهم وذلّهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم وأن يرثوهم العرب ولا يرثوهم العرب، وأن يقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤمّ أحد منهم العرب ولا يتقدّم أحد منهم في الصف الأول اذا أحضرت العرب الّا أن يتمّ الصف، ولا تولّ أحدا منهم ثغرا من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم، ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فانّ هذه سنّة عمر فيهم وسيرته ...، الى قوله: فاذا جاءك كتابي هذا فأذلّ العجم وأهنهم واقصهم ولا تستعن بأحد منهم ولا تقض لهم حاجة»[٢٠]

كما كتب إلى عمّاله في جميع الآفاق: «ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته»[٢١]

السلوك الذي اتّبعه معاوية وحاشيته وعمّاله في تعاملهم مع الناس يثبت بضرسٍ قاطعٍ أنّهم لم يعيروا أدنى أهمّيةٍ لهم، وأنّ شغلهم الشاغل هو الاستحواذ على السلطة وجني الأموال

الطائلة وعيش حياة البذخ والرفاهية، كما أنّهم لم يدفعوا شيئاً من بيت المال لشخصٍ أو لفئةٍ معيّنةٍ إلا لتكميم الأفواه وتطميع الناس، أو أنّهم كانوا يدفعون بعض أموال المسلمين بمقدارٍ يسكت الناس ويجعلهم في غنى عن التفكير في قضايا الحكم والسياسة.

الأوضاع التي أشاعها بنو أمية في المجتمع الإسلامي كانت تنصبّ لخدمة مآربهم الخاصّة بحيث إنّ الشخص الذي لا ينخدع بأكاذيبهم ولا يلتزم جانب الصمت خوفاً من تهديدهم أو طمعاً في عطاياهم، فهو لا يجرؤ على الإدلاء برأيه ولا يمكنه أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باستثناء أولئك التحرّرين الذين كانوا مستعدّين للتضحية بأرواحهم من أمثال أبي ذر الغفاري وحجر بن عدي والمقداد ومالك الأشتر، كما أنّ بعض الشخصيات التي كانت تلهث وراء حطام الدنيا والحصول على المال والسلطة فيها اعترضت على حكم بني أمية، مثل سعد بن أبي وقّاص ومن حذا حذوه، وقد كانت نتيجة هذه الاعتراضات هي النفي أو السجن أو القتل، لأنّ الحكّام الأمويين كانوا يخشون غاية الخشية من صحوة الشعب وانتفاضه ضدّهم.

لقد أضحى الناس في تلك الحقبة المظلمة عبيداً للأمويين، وكان القتل مصير كلّ من ينتقدهم أو يعارضهم، فحكمهم كان مصداقاً لسيادة الشرّ حيث بادروا إلى نهب الأموال العامّة الأمر الذي كان يثير اعتراض أبرز صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله.

***اغتيال المنتقدين والمعترضين**

الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري كان يتمنّى الموت إثر ما لاحظه من انحرافٍ عظيمٍ في حكم الأمويين الجائر، حيث أثاروا البدع ونهبوا بيت المال وخالفوا السنّة النبوية واتّهموا أهل الحقّ وهمّشوا النخبة الاجتماعية، لذلك اعترض عليهم وعانى من ضغوطاتٍ جمّةٍ حيث استدعي إلى المدينة وتمّ نفيه إلى صحراء الربذة بأمرٍ من الخليفة الثالث، وبقي هناك حتّى التحق بالرفيق الأعلى.[٢٢] كان هذا الرجل العظيم يحذّر الناس من البدع التي يروّج لها أهل الضلال وطلب منهم أن يتصدّوا لها حتّى وإن تعرّضوا للتعذيب والحرمان والنفي.[٢٣]

الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه تجرّعوا كأس الشهادة بتهمة معارضة بدع بني أمية وتطبيق السنّة النبوية ولا سيّما على صعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هذا المنطلق بعث الإمام الحسين ﷺ كتاباً إلى معاوية خاطبه فيه قائلاً:

«الست قاتل حجر واصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده»[٢٤]

*** البيعة لعبودية يزيد**

نذكر في ختام هذا المبحث نموذجاً تأريخياً حول ما فعله الأمويون في عهد سلطة يزيد بن معاوية كي يتّضح للقارئ الكريم مدى سخف معتقداتهم وواقع تعاملهم السيّئ مع الناس، وذلك بالتحديد بعد قيام أهل المدينة ضدّه بعد واقعة عاشوراء سنة ٦٣هـ: فلما قدم جيش الحرة إلى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة المري أباح المدينة ثلاثا واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قنّ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة.[٢٥]

و قد أكّد المؤرّخون على أنّ مصير كلّ من امتنع عن هذه البيعة القتل بقطع الرأس لا محالة،[٢٦] وعلى هذا الأساس فإنّ حكومة يزيد لم تأخذ البيعة من الناس كميثاقٍ للمواطنة واتّباع القوانين الحكومية، بل كانت البيعة تؤخذ منهم بصفتهم عبيداً لهذا الطاغية.

*** حكومة الشرّ و نهب بيت المال**

ثالث خصوصيةٍ اتّصفت بها حكومة بني أمية هي سعيها لتهميش النخبة الاجتماعية وإيكال الأمور إلى الأشرار والقتلة الذين تمكّنوا من التسلّط على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، وبطبيعة الحال فإنّ هؤلاء المنحرفين لا يتورّعون بتاتاً عن نهب ممتلكات بيت مال المسلمين لإنفاقها على فسقهم ومجونهم ولاتّخاذها وسيلةً في ترسيخ أُسس حكمهم الجائر.

تمكّن الأمويون من إخضاع الكثير من قادة العسكر وأصحاب المناصب عن طريق الذهب والفضّة، كما أنّهم أغروا بعض الشخصيات عبر تطميعها بالمناصب الحكومية، واشتروا الكثير من الضمائر بأموال المسلمين التي أنفقوها دون قيد ولا ضابطة؛ لذلك طالما وبّخهم الإمام

الحسين ﷺ على هذه التصرّفات الهوجاء، فقد جاء في أحد كتبه إلى معاوية ما يلي:

«أَوَلَسْتَ الْمُدَّعِيَ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ، الْمَوْلُودَ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ عَبْدِ ثَقِيفٍ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ، ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَطَعَ أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَيْسُوا مِنْك»[٢٧]

ومن جملة مساعي معاوية الماكرة، هو أنّه في عهد خلافة الإمام عليّ ﷺ بذل قصارى جهوده لإشاعة الفوضى في المجتمع وتجريده من الأمن والطمأنينة، لذلك اشترى أصحاب بعض الضمائر الضعيفة واستأجرهم لنهب أموال الناس وإثارة الفتن والاضطرابات في مختلف المدن الإسلامية، كما أنّه حينما اغتصب الخلافة قمع معارضيه أشدّ قمعٍ وخاض هو وزمرته وعمّاله في شتّى أنواع الفسق والفجور بعد أن نهبوا بيت المال.

*** الإمام يتصدّى للاستبداد الأموي**

بعد أن استعرضنا واقع الظروف التي سادت في المجتمع الإسلامي إبّان العهد الأموي، اتّضحت لنا إلى حدٍّ ما تلك الظروف القاسية التي واجهها الإمام الحسين ﷺ، وفي خضمّ هذه الأوضاع المزرية فلا أحد كان قادراً على التصدّي لهذا الحكم الجائر إلا من كان حرّاً وشغله الشاغل هو رفع كلمة الله وإنقاذ المظلومين والمضطهدين؛ لذلك أعلن سبط الرسول اعتراضه قولاً وكتابةً، ثمّ انتظر الفرصة المؤاتية للثورة ضدّ الجور والطغيان.

لا ريب في أنّ سيّد الأحرار لم يطمع يوماً بالاستحواذ على السلطة ولم يجعل هدفه تولّي مقام الرئاسة والتسلّط على الناس، بل إنّ نفسه الطاهرة السامية تترفّع عن التفكير في هذه الأمور الزائلة، والأدلّة على هذه الحقيقة كثيرةٌ لا مجال لتفصيلها هنا، ولكن نذكر أحدها كمثالٍ فحسب. في حرب صفّين سعى الأمويون إلى التنصّل من عدالة عليّ بن أبي طالب ﷺ والإفلات من حزمه في إحقاق الحقّ وإقامة شريعة الله تعالى، فبادروا إلى تطميع الإمام الحسين ﷺ بأن يعيّنوه خليفةً للمسلمين ويأخذوا البيعة له بعد إزاحة والده عنها. هذا الاقتراح بكلّ تأكيدٍ كان ليغري المغرّرين بالسياسة والمتعطّشين للسلطة، لكنّ سيّد الأحرار رفضه رفضاً قاطعاً الأمر الذي ينمّ عن زهده وورعه فضلاً عن دلالته على عصمته وحنكته ووعيه في التعامل مع الأعداء.

كان الإمام الحسين ﷺ يتألّم ممّا فعله بنو أمية من أعمال قبيحة تمثّلت في تشويش أفكار الناس وتدنيس فطرتهم السليمة وتسخيرهم لمآربهم الخاصّة، ومن جملة ما قاله ما يلي:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُساً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولكِنْ لِنُرِيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ويُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وسُنَنِكَ وأَحْكَامِكَ، فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُونَا وتُنْصِفُونَا قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ وعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ وحَسْبُنَا اللهُ وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وإِلَيْهِ أَنَبْنَا وإِلَيْهِ الْمَصِيرِ»[٢٨]

رغم الحزن البالغ الذي انتاب الإمام الحسين ﷺ بعد اضطرار أخيه الإمام الحسن ﷺ للموافقة على الصلح مع معاوية الذي استحوذ على مقاليد الحكم، لكنّه أيّد هذا الصلح من منطلق طاعته لإمام زمانه الذي تعامل مع الأمور بواقعيةٍ واضطرّ لقبول الهدنة مع هذا الطاغية والالتزام بما تمّ الاتفاق عليه؛ لذلك أوصى كلّ من اعترض على الصلح بالصبر ومسايرة الأوضاع ما دام معاوية حياً.[٢٩] كما أنّ أهل الكوفة حينما قدّموا له تعازيهم بعد شهادة الإمام الحسن ﷺ وأعلنوا عن استعدادهم للثورة ضدّ معاوية، منعهم من ذلك وطلب منهم عدم اتّخاذ أيّ إجراءٍ علنيٍّ وترك كلّ فعلٍ متسرّعٍ ما دام ابن هندٍ على قيد الحياة، وقال لهم إن أبقاه الله تعالى حياً بعد هلاك هذا الطاغية،حينها سيخبرهم برأيه في هذا الصدد.[٣٠]

لقد كان سبط الرسول قلقاً من أن تجاهل الناس حقّ أهل البيت ﷺ في الخلافة قد ينتج عنه إضفاء الشرعية لحكومات الجور الغاصبة، ومن ناحيةٍ أخرى كان يشعر بالاستياء من تلاعب بني أمية بالتعاليم والأحكام الإسلامية سعياً منهم للقضاء عليها لأنّ الإسلام بالنسبة إليهم لم يكن سوى وسيلةٍ للاستحواذ على السلطة والاحتفاظ بها وتحويلها إلى حقٍّ وراثيٍّ بين ذراريهم، حيث لم يتوانوا عن فعل شيءٍ من شأنه إضلال الناس وخداعهم وإضفاء الشرعية على حكومتهم الباطلة التي اغتصبوها ظلماً وعدواناً، وبالطبع فالسبيل الوحيد لهذه المشروعية المبتدعة هو أخذ البيعة من أهل البيت ﷺ والصحابة الخلّص. ومن هذا المنطلق بذل معاوية بن أبي سفيان جهوداً حثيثةً طوال عشر سنواتٍ بعد شهادة الإمام الحسن ﷺ بغية أخذ البيعةمن أبرز الشخصيات في المدينة المنوّرة لابنه يزيد، حتّى إنّه ضغط على عبد الله بن عمر

بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوّام، والأهمّ من ذلك أنّه سعى إلى أخذها من الإمام الحسين عليه السلام الذي كان الصاحب الشرعي لها.

من المؤكّد أنّ عدم بيعة هذه الشخصيات البارزة كانت تعني تجريد الحكم الأموي من مشروعيته، لذلك عندما عجز معاوية عن كسب تأييدها لجأ إلى المكر والسيف، ومن ثمّ بادر إلى استدعاء من يريد أخذ البيعة منهم في مسجده تحت إشراف رجالٍ مدجّجين بالسلاح ليعلن كذباً عن موافقتهم على بيعة ابنه يزيد؛[٣١] وعلى هذا الأساس أضفى الشرعية المزعومة على حكومة ابنه العاجز الفاسق بالمكر والتهديد.

وعلى الرغم من أنّ الإمام الحسين عليه السلام اعتبر حكومة معاوية بأنّها أعظم الفتن والمفاسد التي شهدها العالم الإسلامي بحيث وصفها في أحد مكاتيبه إلى هذا الطاغية بالقول: «**وانّى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الامة من ولايتك عليها**»، ومع أنّه اعتبر الجهاد ضدّها أفضل الجهاد بقوله: «**ولا أعلم نظراً لنفسى ولدينى ولامة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك، فان فعلت فإنه قربة إلى الله**»،لكنّه كان يدرك غاية الإدراك أن لا فائدة من الثورة ضدّ هذا الطاغوت الماكر ومحاربة نظامه الجائر في تلك الآونة؛ لكنّ الإمام عليه السلام لم يطق رؤية دين الله وهو على وشك الانهيار في ظلّ الانحراف الذي طال أمر الخلافة، لذلك قال: «**وعلى إلاسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد**»

يمكن تلخيص أهمّ النتائج السلبية التي تمخّضت على تولّي يزيد لزمام الأمور في الموردين التاليين:

أوّلاً: تزعّم المسلمين حاكمٌ فاسدٌ غير كفوءٍ. «**يزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق**»[٣٢]

ثانياً: تحوّلت الخلافة الإسلامية إلى حكومةٍ ملكيةٍ موروثةٍ، وهو أمرٌ أكثر خطورة من المورد الأوّل؛ لذلك اعترض الكثير من المسلمين على ذلك وبمن فيهم عبد الرحمن بن أبي بكر الذي أحسّ بهذا الخطر المحدق بالإسلام والأمّة الإسلامية فاعترض على معاوية وأعوانه وأنّبهم لكونهم يكذبون في زعم أنّهم يشفقون على أمّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وقال لهم إنّكم تريدون العمل

بسنّة الروم الذين يولّون هرقلاً آخر بعد هلاك هرقلهم، حيث تريدون تحويل الخلافة إلى حكمٍ ملكيٍّ موروثٍ، فقال: «**كذبتَ والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار اردتما لامّة محمد ولكنكّم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلّما مات هرقل قام هرقل**»(٣٣)

أبرز رموز المسلمين وعلى رأسهم الإمام الحسين ﷺ عارضوا هذا الطلب اللامشروع من قبل معاوية وانتفضوا ضدّه بصفته بدعةً خطيرةً تهدّد كيان المجتمع الإسلامي، لكنّهم لم يتّخذوا هذا القرار على أساس دافعٍ موحّدٍ.

مبادئ الثورة الحسينية وأهدافها

إن الإمام ﷺ بسبب فهمه السياسه الأموية والشعور بالخطر من استمرار سياستهم في "قلب الخلافة الإسلامية بالملكية الموروثة الاستبدادية" قام لإصلاح المجتمع وحفظ الأمة الإسلامية واحياء القيم الدينية والأخلاقية، والمعارضة مع السياسة الأموية فى «قلب الاسلام»، و"تحول المجتمع الاسلامى"، ومعقتله واصحابة علّم للأمة الإسلامية وغيرها من امم دروس"الحريه''، "الصدق والإخلاص" و"الصدق والنزاهة". من الأحداث التي وقعت خلال الانتفاضة، وتصريحاته، يمكن أن يكون "مبادئ الثورة الحسينية و أهدافها" من النحو التالى:

١-تحرير الناس من العبودية والاستعباد

الإمام الحسين ﷺ كان يراوده هاجسٌ حول تحرير البشرية من قيود عبودية الحكّام الطغاة وأصحاب الثروات، وقد كان على علمٍ بواقع السياسة الأموية المنحرفة لذلك حينما وجد الفرصة مؤاتيةً لانتشال الناس من حبائل هذا الحكم الجائر، رفع راية الجهاد والدفاع عن الحقّ والمظلوم، فهو نشأ وترعرع في مدرسة أمير المؤمنين عليّ ﷺ الذي قال لابنه: «**يا بنىّ! لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّا**»(٣٤)

الكاتب الشهير عباس محمود العقّاد بعد أن نقل كلام الإمام الحسين ﷺ وهو في سنّ الثالثة والثلاثين عندما ودّع أبا ذر الغفاري لـمّا صدر قرار نفيه إلى الربذة، قال:

"وكان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، فكأنّما أودع هذه الكلمات شعار حياته كاملةً منذ أدرك الدنيا إلى أن فارقها في مصرع كربلاء".(٣٥) وكلام الإمام الحسين ﷺ هو:

«يا عمّاه، إن الله تعالى قادرٌ ان يغيّر ما قدترى والله كلّ يوم فى شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم! فاسئل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع و الجزع، فإن الصبر من الدين والكرم وإن الجشع لا يقدّم رزقاً والجزع لايؤخّر أجلاً»[٣٦]

هذه المفاهيم السامية أشار إليها الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً في وصيته لهشام، حيث نقلها عن جدّه الحسين عليه السلام، إذ أكّد على أنّ أولياء الله تعالى وأهل العلم والمعرفة يؤمنون بأنّ الله تبارك وتعالى يشمل بظلّه كلّ ما تشرق عليه الشمس وتغرب، وقال:

«الاحرّ يدع هذه اللماظة لأهلها، ليس لانفسكم ثمنٌ الّا الجنّة فلا تبيعوها بغيرها، فانّه من رضى من الله بالدنيا فقد رضى بالخسيس»[٣٧]

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ثار على حكومة الظلم والاستبداد الأموية من منطلق هذه الرؤية للشخصية الإنسانية، وهو لم يكتف بتحرير نفسه وتنزيهها من كلّ أشكال الضلال والانحراف، بل حاول تنبيه الناس على واقعهم المرير وتخليصهم من قيود عبودية هذا الحكم الجائر وانتشالهم من مهاوي الحياة الدنيا؛ فحكومة بني أمية استعبدت الناس وقيدتهم وجعلت هذا الأمر هدفاً لها. الناس في تلك الآونة كانوا بحاجةٍ إلى الخلاص من قيود الدنيا وتعلّقاتها المادّية فضلاً عن حاجتهم الماسّة للنجاة من القيود الشاقّة التي فرضها عليهم بنو أمية، ومن المؤكّد أنّ هذا الهدف لم يكن ليتحقّق إلا في رحاب التقوى والإعراض عن الأهواء النفسانية والتعلّقات الدنيوية؛ لذلك سعى الإمام الحسين عليه السلام لإعلامهم بقيمة الحياة والموت كي يتمكّنوا من تحرير أنفسهم والخلاص من قيود الاستبداد الأموي والتعرّف على قيمة الحياة الواقعية والقيم الإنسانية العليا.

قيس بن الأشعث – شقيق محمّد بن الأشعث الذي مكر بمسلم بن عقيل في الكوفة وسلّمه لعبيد الله بن زياد بعد أن منحه الأمان – طلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايع بني أمية، لكنّه ردّ عليه قائلاً:

«لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار عبيد»[٣٨]

العلامة محمّد حسين النائيني ألّف كتاباً قيّماً تحت عنوان (تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة) وذلك حينما تصدّى للحكومة القاجارية المستبدّة لأجل تنبيه الناس على رفض الإسلام للأنظمة الجائرة والمستبدّة وإعلامهم بأنّ نظام الحكم المشروع مشروطٌ بمراعاة أحكام الشريعة وحقوق الشعب وأنّ المسؤولين مكلّفون بهذا الأمر؛ وعلى هذا الأساس استشهد بعدّة آياتٍ قرآنيةٍ وبما فيها تلك الآيات التي تحدّثت عن قصّة فرعون وبني إسرائيل، كما ذكر أحاديث النبيّ ﷺ والإمام عليّ ﷺ وسلّط الضوء على سيرة الإمام الحسين ﷺ. ومن جملة ما دوّنه ما يلي: "سيّد المظلومين ﷺ اعتبر تمكين بني أمية من تولّي زمام الأمور ذلاً وعبوديةً، وردّ على أرجاس وأراذل الكوفة الذين قالوا له (إنزل على حكم ابن عمّك) قائلاً: «**لا أعطيكم بيدى اعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد**»، وقال أيضاً: «**هيهات منا الذلّة ابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت...**» إنّه يرى طاعة الفجرة والإذعان لحكم اللئام عبوديةً لهم ... نفسه المباركة تأبى ذلك، لذا ضحّى بحياته وكلّ ما لديه لأجل حرّيته وفكره التوحيدي، وجعل هذه السنّة الكريمة أساساً لأحرار أمّته ونزّهها من جميع شوائب العصبية الذميمة وعلى هذا الأساس أُطلق عليهم (أُباة الضيم) ووُصفوا بأنّهم (أحرار) في مصادر التاريخ الإسلامي لكونهم أصحاب نفوسٍ أبيةٍ اقتدوا بهذه السنّة المباركة وضحّوا في سبيل هذا الهدف السامي، فكلّهم بذورٌ من تلك السنبلة الطيبة وقطرةٌ من ذلك البحر العظيم للإباء والحرّية ... لقد مدح الإمام الحسين ﷺ الحرّ بن يزيد الرياحي لأنّه خلع طوق عبودية آل أبي سفيان وأدرك شرف الحرّية وعرف قيمة الفوز بالشهادة، فقال في رفعة شأنه وعلوّ مقامه: «**أنت الحرّ كما سمّتك أمّك، أنت الحرّ فى الدنيا وأنت الحرّ فى الآخرة**»".(٣٩)

٢-وعي الإنسان وتحرّره من قيود الجهل والخرافة

الإمام الحسين ﷺ كان بحاجةٍ إلى صحوة الناس كي ينتشلهم من ظلم بني أمية، إلا أنّ الظروف الاجتماعية والسياسية لم تكن وفق المرام ممّا زاد من صعوبة تحقيق هذا الهدف، لذلك استغلّ كلّ فرصةٍ كانت تسنح له بغية إرشادهم وإيقاظهم من غفلتهم لكنّ صعوبةالارتباط آنذاك والاضطراب الذي كان يكتنف المجتمع إلى جانب النشاطات الإعلامية الماكرة لبني أمية، كلّها أمورٌ أسهمت في عرقلة المساعي الرامية إلى توعية الناس.

حينما كان الإمام الحسين ﷺ في منى التي اجتمع فيها حجّاج بيت الله الحرام، دعا أكابر القوم وألقى عليهم خطبةً توجيهيةً ذكّر فيها المتصدّين للشأن الديني والسياسي بمسؤوليّتهم الثقيلة، ونبّههم بالعاقبة الوخيمة لعلماء اليهود والنصارى الذين التزموا جانب الصمت حيال الظلم والجور وتركوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إمّا طمعاً بحطام الدنيا ومناصبها أو خشيةً من سطوة الحكّام، ومن ثمّ أخبرهم كيف أنّ الله عزّ وجلّ حرمهم من ذلك المقام الرفيع الذي وعد به العلماء إثر تجاهلهم مسؤوليتهم الحسّاسة وعدم اكتراثهم بمكانتهم الاجتماعية المهمّة.

كما انتقدهم الإمام لكونهم أعرضوا عن الناس وخضعوا لحكم الأمويين، حيث قال:

«فَأَسْلَمْتُمُ الضُّعَفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبَدٍ مَقْهُورٍ وبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ على مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِآرَائِهِمْ ويَستَشعِرُون الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِم اقْتِدَاءً بالأشرار وجُرْأَةً على الْجَبَّار في كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَصْقَعُ فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وأيدِيهِم فِيهَا مَبْسُوطَةٌ والنَّاسُ لَهُمْ خَوَلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وذي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعَفَةِ شَدِيدٍ مُطَاعٍ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِئَ الْمُعِيد.»[٤٠]

الإمام الحسين ﷺ طوال مسيرته الثورية لم يتوان لحظةً عن السعي لتوعية الناس وإيقاظهم من غفلتهم وانتشالهم من ظلمات الجهل الذي أغرقهم فيه بنو أمية، وعندما عزم على التوجّه من المدينة إلى مكّة اقترح عليه مسلم بن عقيل بأن لا يبايع يزيد كما فعل عبد الله بن الزبير وأن يتّجه نحو مكّة متخفّياً بعيداً عن أعين أتباع حكومة بني أمية؛ إلا أنّ الإمام رفض ذلك وسلك الطريق الأصلي[٤١] وأينما كان يشاهد شخصاً أو مجموعة أشخاصٍ كان يخبرهم بهدفه من ترك مدينة جدّه بشكلٍ صريحٍ لكون ثورته لم تكن نظيرةً لأعمال الشغب كي تتمّ مطاردته من قبل ذيول النظام الحاكم، بل كان يحمل رسالة تحرير أمّةٍ من الجهل والضلال والنجاة من طغيان بني أمية، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الهدف السامي لا يمكن أن يتحقّق في ظلّ حركةٍ سرّيةٍ.

كما انّ الإمام الصادق ﷺ وصف جدّه سيّد الأحرار في زيارته المعروفة قائلاً:

«بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الضَّلَالَةِ والْجَهَالَةِ والْعَمَى والشَّكِّ والِارْتِيَابِ إِلَى بَابِ الْهُدَى مِنَ الرَّدَى»[٤٢]

٣-إحياء أجلّ القيم الأخلاقية

إحدى المشاكل التي عانى منها المجتمع إبّان حكومة بني أمية، شيوع الرذائل الأخلاقية وابتعاد الناس عن الفضائل والمُثُل السامية، ومن المؤكّد أنّ المجتمع الذي يتزعّمه الأشرار والأراذل لا يُرتقب منه أكثر من ذلك. لقد ثار الإمام الحسين ﷺ ضدّ النظام الأموي الجائر المستبدّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ العامل الأساسي الذي جعل المجتمع الإسلامي يُبتلى بهذا الاستبداد الديني والسياسي هو تنصّل المسؤولين والمواطنين من القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية.

الأمويون من منطلق سياسة الكذب والخداع لم يتوانوا عن جهدٍ لتهميش أهل البيت ﷺ والنخبة الاجتماعية وذلك لكي يتسنّى لهم تولّي زمام الأمور بسهولةٍ، والإمام الحسين ﷺ في باكورة ثورته بعث كتاباً إلى أخيه ذكر له فيها أهدافه لكي لا يتّهمه عبيد الدنيا بأنّه أثار الفتنة وأشاع الفساد والاختلاف وسعى إلى تحقيق مصالح دنيوية، حيث قال:

«أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَ لَا بَطِراً وَ لَا مُفْسِداً وَ لَا ظَالِماً وَ إِنَّما خَرَجْتُ لِطلبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوف وَ أَنْهَى عَنِ الْمُنْكَر وَ أَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ﷺ»(٤٣)

لقد عمل الإمام الحسين ﷺ على ترويج القيم الأخلاقية السامية بأقواله وأفعاله طوال ثورته المباركة، فدعا إلى التحرّر والصدق والأمانة والشجاعة والإيثار وعدم الخشية من الموت، فهذه المبادئ الأصيلة قد تألّقت في جميع مراحل النهضة الحسينية المباركة؛ والأمثلة على ذلك كثيرةٌ وقد تجسّدت في مواقف عديدة منها عدم الخضوع للئام أو مدّ يد البيعة لهم، وإعلان الهدف من الثورة منذ أوّل يومٍ انطلقت فيه، وتنبيه بني هاشم والأصحاب بعواقب شدّ الرحال إلى أرض كربلاء كي يكونوا على بصيرةٍ تامّةٍ وهم في ركاب قافلة أهل البيت ﷺ، وإعفاء الأصحاب من بيعتهم والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم ليلة عاشوراء، وإيثار الإمام وكلّ من التحق بركبه، واستقبالهم الموت بعزّةٍ وكرامةٍ دون الركون إلى حياة الذلّ والهوان؛ فكلّ هذه القيم العظيمة قد أوشكت آنذاك على الأُفول في ظلّ حكومة الأمويين المنحرفة. إنّ مواقف الإمام الحسين ﷺ طوال ثورته المباركة قد عكست هذه الحقيقة الثابتة.

***الصدق مع الأهل والأصحاب**

ـ اذا ارْتَحَل وسار الإمام وانْتَهَى إِلَى زُبَالَةَ (منزل بطريق مكّة من الكوفة)،[٤٤] فَأَتَاهُ خبرُ عَبْدِ اللهِّ بْنِ يَقْطُرَ فَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ كِتَاباً فَقَرَأَهُ عَلَيهم: «**بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ فَظِيعٌ قَتْلُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وهَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ وعَبْدِ اللهِّ بْنِ يَقْطُرَ وقد خَذَلَنَا شِيعَتُنَا فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ غَيْرَ حَرِجٍ لَيْسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ.**» فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وأَخَذُوا يَمِيناً وشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ونَفَرٍ يَسِيرٍ مِمَّنِ انْضَوَوْا إِلَيْهِ.

رجال السياسة في هكذا ظروف عادةً ما يبادرون إلى التعتيم على الأخبار الحقيقية وحجبها عن الناس كي لا يتفرّقوا وحتّى يتمكّن المعنيون وأتباعهم من توجيه الرأي العام نحو أهدافهم الخاصّة، إلا أنّ الإمام الحسين ﷺ أعلن جميع الحقائق للناس من أجل أن يتّخذوا قراراتهم ببصيرةٍ ووعي وكي لا يسيروا في ركبه على أساس تقليدٍ أعمى وحتّى لا يظنّوا أنّه يريد منهم مرافقته تحت أيّة ظروفٍ كانت بغية إنقاذ نفسه تحت ذريعة الجهاد في سبيل الله.

قال المفيد (رحمه الله): إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ وهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَأْتِي بَلَداً قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وهُم يَعْلَمُونَ عَلَى مَايُقْدِمُونَ.[٤٥]

يا ترى ما معنى أخذ البيعة من الناس في الظروف الجهادية الصعبة التي يحاول كلّ قائدٍ فيها الحفاظ على قوّاته وعدم التفريط بهم؟ إنّها من المؤكّد تعني أصالة القيم الأخلاقية وعدم تجاهلها تحت أيّة ظروفٍ كانت، وبطبيعة الحال لا يبادر إلى ذلك سوى الإنسان الحرّ؛ وهذا ما حدث في ليلة عاشوراء حينما جمع الإمام صحبه وأهل بيته وخاطبهم بالقول:

«**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى ولَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي ولَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ ولَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ اللهُّ عَنِّي خَيْراً، أَلَا وإِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا وإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا**»[٤٦]

وقد نقل بعض الرواة والمؤرّخين كلاماً له يبيّن الحكمة من طلبه ذلك منهم، وهو قوله:

«**إنكم خرجتم معي لعلمكم أنّي أقدم على قوم بايعوني بألسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس**

الأمر، لأنّهم واستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكرالله والآن ليس يكن لهم مقصد الاّ قتلى وقتلَ مَن يجاهد بين يدىّ وسبىَ حريمى بعد سلبهم، وأخشى أنّكم ما تعلمون او تعلمون وتستحيون والخدع عندنا اهل البيت محرّم، فمن كره منكم ذلک فلينصرف»[٤٧]

***إعلان نهاية الانتفاضة**

لم يكتم الإمام الحسين ﷺ على أهله وصحبه مخاطر شدّ الرحال إلى كربلاء وأعلمهم في مواطن عديدة بأنّ مصيرهم القتل لا محالة وذلك لكي يسيروا معه بإرادتهم واختيارهم وهم يعلمون بما سيحلّ بهم دون أن يخشوا من شيءٍ بتاتاً، فهو لم يكن يروم هزيمة بني أمية بأيّ ثمنٍ كان، لأنّ الحكومة لم تكن هي الأساس في فكر الأئمّة المعصومين ﷺ حيث كانوا يحملون رسالةً سامية يتمكّنون أحياناً من تحقيق مبادئها بعد تشكيل حكومةٍ، لذلك لجؤوا تارةً إلى نشرها عن طريق التقية، وتارةً أخرى بواسطة الجهاد والشهادة؛ وبالتالي يجب على كلّ من يتّبعهم أن يكون على علمٍ بأهدافهم مهما كانت الظروف، وهناك الكثير من الشواهد على هذا الأمر انعكست في كلامه القيّم طوال مسيرته إلى أرض الطفّ.

– عندما التقى الإمام بالفرزدق طلب منه الترحّم على الشهيد مسلم بن عقيل، فبادر هذا الشاعر إلى إنشاد أبياتٍ ذكّر بواسطتها القافلة بأنّ الشهادة بانتظارهم:

«فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة فانّ ثواب الله أعلى وأنبل

فإن تكن الأبدان للموت أنشأت فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل»[٤٨]

– عندما اعترض الحرّ بن يزيد الرياحي طريق الإمام الحسين ﷺ وأخبره بأنّ الموت بانتظار قافلته، أجابه الإمام:"أَبالموت تُخوّفني؟! وهلْ يعدو بكم الخَطْبُ أن تقتلوني؟! وما أدري ما أقول لك ولكنّي أقول كما قال أخو الأوْس:[٤٩]

«سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموماً وخالف مجرما

فإن عشت لم ألم وإن متُّ لم أُذم كفى بك ذّلاً أن تعيش مرغما»[٥٠]

٤-إحياء التعاليم والقيم الدينية

انّ من اهداف نهضه الإمام ﷺ، احياءُ التعاليم والقيم الدينيه مثل: ''الشعور بالمسؤولية عن مصير المجتمع''، ''الجهاد ومحاربة الانحرافات'' و ''الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر''. يمكن كشف هدفه من النحو التالى فى حياته الشريفه:

الإمام الحسين ﷺ ضمن خطبته التي ألقاها على صحبه وجيش الحرّ بن يزيد الرياحي، تطرّق إلى بيان هدفه الأساسي الذي دعاه للثورة ضدّ النظام الأموي مؤكّداً على أنّه يروم إحياء أحكام الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى وإن كلّفه ذلك حياته، فقال:

«الا ترون ان الحق لا يعمل به وانّ الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقّا، فانى لا ارى الموت الّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين الّا برما»[٥١]

«ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فاذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[٥٢]

وعندما وقف أمام جيوش عمر بن سعد في يوم عاشوراءخاطب أهل الكوفة لإتمام الحجّة عليهم، واعتبرهم جزءاً من الأسباب التي أسفرت عن معاناة المجتمع الإسلامي من كلّ تلك الأوضاع المزرية وتسلّط الطواغيت على رقاب الناس وقال إنّهم تآزروا مع أبناء الزنا والشرذمة التي تبقّت من المشركين ومخالفي القرآن والسنّة النبوية والذين مزّقوا القرآن وتمرّدوا على إمام زمانهم؛ ثمّ وبّخهم وعاتبهم على دعوتهم له وعدم وفائهم بعهدهم الذي قطعوه في التصدّي لحكومة بني أمية الجائرة، وقال:

«الا ان الدّعىّ ابن الدّعىّ قد ركز بين اثنتين بين القتلة والذلّة وهيهات منّا الذلّة...»[٥٣]

ولـمّا تحدّث عن الشهادة بعزّةٍ وكرامةٍ وبشّر أصحابه بالجنة التي وعد بها المتّقون، كان الشوق بادياً على محيّاه ومحيّا من معه لحلول لحظة الشهادة المرتقبة، لذلك قال:

«صبراً بنى الكرام، فما الموت الّا قنطرة تعبر بكم عن البئوس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فايّكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر...»[٥٤]

والتأريخ يشهد على أنّ الشعارات التي رفعها الإمام الحسين ﷺ وصحبه الكرام في يوم عاشوراء، تدلّ جميعها على التحرّر من قيود الدنيا والولع بالشهادة، ومن ذلك ما يلي:

***موت فی عزّ خیرٌ من حیاة فی ذلّ**(٥٥)

***الموت اولی من رکوب العار والعار اولی من دخول النّار والله ما هذا وهذا جاری**(٥٦)

لا ريب في أنّ التحرّر من عبودية بني أمية يعدّ نعمةً عظيمةً حرم منها المسلمون آنذاك، لذلك فإنّهم إن كانوا يرومون تحقيق هذا الهدف فلا مناص لهم من دفع ثمنه، لكنّ بعضهم كانوا يخشون من بطش هذه الشرذمة الطاغية وبعضهم الآخر غرّر بهم وخدعوا بحفنةٍ من المال الأمر الذي جعلهم يصمتون إزاء الظلم ويتنصّلون عن دفع ثمن الحرّية، وقد وصفهم الإمام قائلاً:

«والله لایدعونّی حتی یستخرجوا هذه العلقه من جوفی واذا فعلوا ذلك سلط الله علیهم مَن یُذلّهم حتی یکونوا اذلّ فرق الامم»(٥٧)

وبالفعل، فقد تحقّق هذا الكلام على أرض الواقع وسلّط الله تعالى عليهم من هو أعتى من الطاغية معاوية.

إنّ سيّد الشهداء حتّى آخر لحظات حياته لم يتهاون في إبلاغ رسالته الثورية المحمّدية إلى البشرية جمعاء، وحينما لاحظ آل أبي سفيان انقضّوا على خيام النساء والأطفال، خاطبهم بالقول:

«یا شیعة آل ابی‌سفیان! ان لم یکن لکم دین وکنتم لا تخافون المعاد فکونوا احراراً فی دنیاکم هذه فارجعوا الی احسابکم ان‌کنتم عرباً کما تزعمون»(٥٨)

٥-إحياء السنّة النبوية والسيرة العلوية

أحد الأهداف الأخرى التي رام الإمام الحسين ﷺ تحقيقها في نهضته الكبرى هو إحياء سيرة جدّه الرسول الأكرم ﷺ ووالده سيّد الموحّدين عليّ بن أبي طالب ﷺ بعد أن أصبحت في طي النسيان لمدّة خمسين عاماً من سلطة الأمويين، حيث ترعرع جيلٌ لم يكن على معرفةٍ بتلك السيرة الإسلامية الأصيلة، لأنّ هؤلاء الطغاة غسلوا أدمغة الناس وحقنوها بما يشاؤون من أفكارٍ منحرفةٍ لكي يخضعوا لهم بذلٍّ وعبوديةٍ، وهذا الهدف الشيطاني لا يتحقّق بكلّ تأكيدٍ إلا

عبر محاربة السنّة النبوية والسيرة العلوية، كما أنّ تحويل الخلافة الإسلامية إلى مملكةٍ وراثيةٍ لم يكن مقدوراً إلا بهذا الأسلوب الذي يصبح الناس فيه غارقين في غياهب الضلال وجاهلين بالتعاليم الإسلامية الأصيلة والسيرة النبوية الشريفة. لذا، سعى بنو أمية جاهدين لإحياء الطباع والتقاليد الجاهلية التي رفضها الإسلام وبادروا إلى طرحها بثوبٍ إسلاميٍّ، لأنّ الناس إن اطّلعوا على الفكر الإسلامي الأصيل وطرأت تغييرات على جميع جوانب حياتهم الفردية والجماعية بفضل التعاليم الإسلامية السمحاء، لما كانوا يخدعون بسهولةٍ ولما انضوت عليهم كلّ تلك الأكاذيب التي نسبت إلى الدين.

ومن الجدير بالذكر أنّ خاتم الأنبياء ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام أكّدا غاية التأكيد على ضرورة إحقاق حقوق الناس وعدم جواز تدنيسها من قبل الحكّام، فالسلطات الحاكمة برأيهما مكلّفةٌ بالعمل على ضمان حقوق الشعب وتلبيتها، مثل حقّ التعليم والتربية وحرّية التعبير والاستفسار والاعتراض واستنطاق المسؤولين والإشراف على سلوكهم، وما إلى ذلك من حقوقٍ أخرى؛ كما أكّدا على أنّ حقّ المسؤولين في طاعة الرعية لهم منوطٌ بمراعاتهم لحقوق الناس وأداء واجباتهم بأفضل وجهٍ.

وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة كشواهد على هذه الحقيقة الثابتة:

حينما بعث النبيّ ﷺ علاء بن الحضرمي إلى البحرين لتولّي زمام الأمور فيها، حمّله كتاباً إليهم جاء فيه:

«فإني قد بعثت إليكم العلاء بن الحضرمي، وأمرته أن يتقي الله وحده لا شريك له وأن يلين فيكم الجناح ويحسن فيكم السيرة و يحكم بينكم وبين من لقاه من الناس بما أمر الله في كتابه من العدل و أمرتكم بطاعته إذا فعل ذلك، فإن حكم فعدل وقسم فأقسط واسترحم فرحم فاسمعوا له وأطيعوا وأحسنوا مؤازرته ومعونته»[٥٩]

وبعد أن نصّب الإمام عليّ عليه السلام مالك الأشتر لولاية مصر، بعث كتاباً إلى أهلها عرّفهم فيها بشخصيته وكرامته وأمرهم بطاعته، فقال:

«فاسمعوا له و اطيعموا امره فيما طابق الحق»[٦٠]

كما بعث كتاباً إلى قادة جيشه نبّههم فيه إلى الواجبات الملقاة على كاهل المسؤولين وأشار إلى بعضها قائلاً:

«فاذا فعلت ذلک وجبت لله علیکم النعمه ولی علیکم الطاعة ولا تنکصوا عن دعوة ولا تفرطوا فی صلاح»(٦١)

وبعد أن نسي المسلمون التعاليم الأصيلة لدين الله وسنّة خاتم الأنبياء وسيرة سيّد الأولياء، انتفض الإمام الحسين ﷺ لإحياء أرواحهم من جديدٍ وتذكيرهم بالإسلام الأصيل، لذلك بعث إلى الطاغية معاوية كتاباً ذكّره فيه بعدم لياقة ابنه الفاسق يزيد لخلافة المسلمين، فخاطبه قائلاً:

«ثمّ ولّيتَ ابنك وهو غلامٌ يشرب الشراب و يلهو بالكِلاب، فخُنتَ امانتك واخربتَ رعيّتَك ولم تؤدّ نصيحة ربّك، فكيف تولّي على أمّة محمد من يشرب الخمر؟ وشارب الخمر من الفاسقين وشارب الخمر من الاشرار، وليس شارب الخمر بأمينٍ على درهمٍ، فكيف علي الامّه؟»(٦٢)

وقد أعلن الإمام أنّه لا يحيد عن الحقّ لكونه يسير على سنّة جدّه وسيرة أبيه، فقال:

«اسير بسيره جدّی وابی، علی بن ابی طالب»

بعد أن تلقّى رسائل أهل الكوفة ألقى خطبةً ذكّرهم فيها بالتكاليف الملقاة على عاتقهم تجاه حكومة الجور والطغيان، حيث جاء في جانبٍ منها:

«فَقَد عَلِمتُم أنَّ رَسولَ اللهَّ ﷺ قَد قالَ في حَياتِهِ: مَن رَأى سُلطاناً جائِراً مُستَحِلًّا لِحُرَمِ أو تارِكاً]ناكثا[لِعَهدِ اللهَّ، ومُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسولِ اللهَّ ﷺ، فَعَمِلَ في عِبادِ اللهَّ بالإثمِ والعُدوانِ، ثُمَّ لَم يُغَيِّر عَلَيهِ بِقَولٍ وَلا فِعلٍ، كانَ حَقّاً عَلى اللهَّ أَن يُدخِلَهُ مُدخَلَهُ؛ وَقَد عَلِمتُم أنَّ هؤلاءِ لَزِموا طاعَةَ الشَّيطانِ، وَتَوَلَّوا عن طاعَةِ الرَّحمنِ، وأظهَروا الفَسادَ، وَعَطَّلُوا الحُدودَ، واسْتأثَروا بالْفَيء، وَأَحَلُّوا حَرامَ اللهَّ، وَحَرَّموا حَلالَهُ. وأنا أَحَقُّ مِن غيري بِهذا الأمرِ لِقَرابَتي مِن رَسولِ اللهَّ ﷺ»(٦٣)

* نتيجة البحث

سيرة الإمام الحسين ﷺ إبّان إمامته كانت ردّة فعلٍ على سلوك بني أمية تجاه الدين وأحكام الشريعة، حيث سعى إلى إحياء سنّة جدّه خاتم الأنبياء ﷺ وتذكير المسلمين بمكانة أهل البيت ﷺ والتأكيد على حقوق الرعية سياسياً واجتماعياً.

لقد اتّخذ الأمويون دين الله هزواً بهدف التسلّط على رقاب المسلمين والاستحواذ على مقدّراتهم، ولأجل تحقيق أهدافهم الدنيئة هذه بادروا إلى تحريف المعارف الدينية ووضعوا الأحاديث التي نسبوها إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله زوراً وبهتاناً، كما بذلوا ما بوسعهم لتهميش أهل البيت عليهم السلام وخداع الرأي العامّ، فضلاً عن أنّهم عيّنوا أراذل الناس على رقاب المسلمين وتعاملوا معهم بظلمٍ واستبدادٍ، وجعلوا بيت المال ملكاً عائلياً ولم يتورّعوا لحظةً عن سفك دماء المسلمين ونهب أموالهم تحت أيّة ذريعةٍ كانت.

الإمام الحسين عليه السلام بصفته إمام المسلمين وقائدهم، كان يعتبر نفسه مكلّفاً بمواجهة هذا المدّ الباطل والحيلولة دون تحوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمعٍ جاهليٍّ والعمل على صيانة خلافة المسلمين من أن تتحوّل إلى ملكيةٍ وراثيةٍ؛ لذلك ثار لإنقاذ الأمّة الإسلامية وانتشالها من غياهب الجهل وتحريرها من الظلم والاضطهاد، فضحّى بنفسه وعرّف العالم بالباطن القبيح لبني أمية، فكانت ثورته المباركة ضماناً للإسلام والمسلمين من الانحراف والضياع.

لقد مكر الأمويون وخدعوا الناس بزعم أنّهم رمزٌ للتديّن والصدق والحقّ، لكنّهم سرعان ما فضحوا إثر الجريمة الشنيعة التي ارتكبوها في أرض كربلاء فأصبحوا مقيتين لدى كلّ مسلمٍ وسحقت كرامتهم ليقبعوا في مزبلة التأريخ حتّى قيام الساعة.

قد يكون الإمام الحسين عليه السلام خسر المعركة من الناحية العسكرية، إلا أنّه انتصر انتصاراً باهراً ونجح في إحياء القيم الدينية والأخلاقية، وصان الدين والشريعة من أكاذيب بني أمية وأباطيلهم، وبالتالي أثبت للعالم بأسره أنّ الإسلام دينٌ منزّهٌ لا يمنح الأصالة للمال والسلطة.

الهوامش

١-مجلسی، بحارالانوار، ج٢٢، ص٣٩٨.
٢-العلامة محمّد حسين شرف الدين، أبو هريرة، ص ٤٨.
٣-شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٦٣.
٤-ابن ابی الحديد، شرح نهج البلاغه، ج١١، ص ٤٥.
٥-شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحديد، ج١٣، ص٢٢٠.
٦-قمی، سفينه البحار، ج٦، ص٤٦٦، نقلا عن الطبرسی فی الاحتجاج.
٧-شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١١، ص٤٣ـ ٤٥.
٨-كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج٢، ص٧٨٦.
٩-الطبرسی، الإحتجاج على أهل اللجاج، ج٢، ص٢٩٧.
١٠-الإحتجاج، ج٢، ص٢٩٧.
١١-شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٤، ص٥٩.
١٢-شرح نهج البلاغه، ج٤، ص٥٩.
١٣-للاطلاع أكثر، راجع: ماجدة فيصل زكريا، عمر بن عبد العزيز وسياسة ردّ المظالم؛ العلامة الأميني، الغدير، ج ١٠، ص ٢٦٦.
١٤-موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٧٦.
١٥-ان الإمام علی بن ابی طالب عليه السلام وصف بنی اميه: «... فيتخذوا مال الله دولًا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزباً» (نهج البلاغه، نامه ٦٢)؛ كما قال الإمام الحسن عليه السلام لمعاويه: «وَيْلَكَ يَا مُعَاوِيَةُ إِنَّمَا الْخَلِيفَةُ مَنْ سَارَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهَّ وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهَّ وَلَعَمْرِي إِنَّا لَأَعْلَامُ الْهُدَى وَمَنَارُ التُّقَى وَلَكِنَّكَ يَا مُعَاوِيَةُ مِّمَنْ أَبَادَ السُّنَنَ وَأَحْيَا الْبِدَعَ وَاتَّخَذَ عِبَادَ اللهَّ خَوَلًا وَدِينَ اللهَّ لَعِبا» (ر.ك: مجلسی، بحارالانوار، ج٤٤، ص٤٢)
١٦-طريحی، مجمع البحرين، ج٥، ص٣٦٧.
١٧-فيروزآبادی، القاموس المحيط، ج٣، ص٥٠٩.
١٨-موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٨٤٤.
١٩-مرتضى مطهّري، حماسه حسيني (باللغة الفارسية)، ج ٣، ص ٧٨. نقلًا عن: جرجي زيدان، تمدن اسلام (باللغة الفارسية)، ج ٤، ص ١٣١.
للاطّلاع أكثر على تعامل الأمويين مع الموالي وأهل الكتاب، راجع: جرج جرداق، امام علي صداي عدالت انساني (باللغة الفارسية)، ترجمه إلى الفارسية السيّد هادي خسروشاهي، ج ٥، فصل الاستبداد، الآقة القومية، منشورات دار الشروق.
٢٠-بحار الانوار، ج٣٣، ص٢٦٢؛ نقلا عن كتاب سليم بن قيس.
٢١-شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١١، ص٤٣ـ ٤٥.
٢٢-الشيخ المفيد، الأمالي، ص ١٦٤.

٢٣-المصدر السابق، ص ١٦٢.
٢٤-موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٥٣.
٢٥-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٥٩.
٢٦-للاطّلاع أكثر، راجع: الطريحي، مجمع البحرين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادّة (حرّة).
٢٧-الطبرسى، الاحتجاج، ج٢، ص٢٩٧.
٢٨-حرّانى، تحف العقول، ص٢٣٩
٢٩-موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص ٢٧٦.
٣٠-المصدر السابق، ص ٢٠٥.
٣١-المصدر السابق، ص ٢٦٩.
٣٢-موسوعه كلمات الإمام الحسين، ص٢٨٣.
٣٣-موسوعه كلمات الإمام الحسين، ص٢٥٢.
٣٤-نهج البلاغه، نامه ٣١.
٣٥-أبو الشهداء، ص ٥٢.
٣٦-موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص١٢٣ ـ ١٢٤
٣٧-انوارالبهيه، ص٤٥.
٣٨-وقعة الطف، ص٢٠٩.
٣٩-تنبيه الامه و تنزيه المله، ص٥٥ ـ ٥٦.
٤٠-تحف العقول، ص٢٣٧ـ ٢٣٩.
٤١-الموسوعة، ص ٣٣٧.
٤٢-ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٢٨
٤٣-بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٠.
٤٤-معجم البلدان، ج٣، ص١٢٩.
٤٥-الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٧٥.
٤٦-الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٩١.
٤٧-موسوعه كلمات الإمام الحسين، ص٣٩٩، نقلا عن الدمعة الساكبة، ص٢٧١.
٤٨-سيد بن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٧٤.
٤٩-حينما أراد أخو الأوس نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله خوّفه ابن عمّه وقال له: "أين تذهب فإنّك مقتولٌ"، لذلك تلا هذه الأشعار ردّاً عليه.
٥٠-كامل الزيارات، ص٩٦.
٥١-تحف العقول، ص٢٤٥.
٥٢-نفس المصدر.

٥٣-بحار الانوار، ج٤٥، ص٩.
٥٤-معاني الأخبار، ص٢٨٩.
٥٥-بحارالانوار، ج٤٤، ص١٩٢.
٥٦-ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب ﷺ، ج٤، ص٦٨.
٥٧-مفيد، الارشاد، ج٢، ص٧٦.
٥٨-سيد بن طاووس، اللهوف، ص١٢٠.
٥٩-احمدي ميانجي، علي، مكاتيب الرسول، ج٢، ص ٦١٩.
٦٠-نهج البلاغه، نامه ٣٨.
٦١-نهج البلاغه، نامه ٥٠.
٦٢-دعائم الاسلام، ج٢، ص١٣٣.
٦٣-وقعه الطفّ، ص١٧٢.

المصادر والمراجع

*شريف رضى، محمد حسين، نهج البلاغه، تصحيح صبحى صالح، قم، نشر هجرت، ١٤١٤ق.

*ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تصحيح محمد ابوالفضل ابراهيم، قم، مكتبه آيت الله العظمى مرعشى نجفى، ١٤٠٤ق.

*ابن بابويه، محمد بن على، معاني الأخبار، تصحيح على اكبر غفارى، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤٠٣ ق.

*ابن شعبه حرانى، حسن بن على، تحف العقول، تصحيح على اكبر غفارى، چاپ دوم، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤٠٤ق/ ١٣٦٣ش.

*ابن شهر آشوب مازندرانى، محمد بن على، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، قم، نشر علامه، ١٣٧٩ ق.

*ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، نجف اشرف، دارالموتضويه، ١٣٥٦ش.

*احمدي ميانجي، علي، مكاتيب الرسول، قم، مؤسسه دارالحديث، ١٤١٩ق.

*جورج جرداق، امام على، صداى عدالت انسانى، ترجمه سيد هادى خسروشاهى، نشر دارالشروق.

*طبرسى، احمد بن على، الإحتجاج على أهل اللجاج، تصحيح محمد باقر خرسان، نشر مرتضى، مشهد، ١٤٠٣ ق.

*طريحى، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، تصحيح احمد حسينى اشكورى، چاپ سوم، تهران، نشر مرتضوى، ١٣٧٥ش.

*عقاد، عباس محمود، ابوالشهداء (واقعه كربلا)، ترجمه مسعود انصارى، نشر پرديس.

*فيروز آبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، چاپ اول.

*قمى، شيخ عباس، الانوار البهيه فى تواريخ الحجج الالهية، چاپ سنگى.

*كوفى، ابو مخنف لوط بن يحيى، وقعة الطفّ، تصحيح محمد هادى يوسفى غروى، چاپ سوم، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤١٧ ق.

*مجلسى، محمد باقر بن محمد تقى، بحار الأنوار، چاپ دوم، بيروت، داراحياء التراث العربى، ١٤٠٣ ق.

*مفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤسسه آل البيت، ١٤١٣ ق.

*نائينى، محمد حسين، تنبيه الامة و تنزيه الملة، تصحيح و تحقيق سيد جواد ورعى، مركز انتشارات اسلامى، ١٣٨٦.

*هلالى، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تصحيح محمد انصارى زنجانى، قم، الهادى، ١٤٠٥ق.

التداول السلمي للسلطة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. ميثم مهدي صالح الحمامي

كلية التربية الأساسية / جامعة الكوفة.

ملخص البحث

البحث قراءة جديدة لنهضة الإمام الحسين ﷺ يبيّن أن النهضة كانت سلمية النشأة والإعداد والامتداد، من خلال عرض النصوص التاريخية والوثائق المعتمدة لهذه النهضة . وسيقسم البحث على ثلاثة مباحث ، الأول :البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية ، وسيحاول البحث إثبات ما مر لمبدأ التداول السلمي للسلطة ، والثاني :الأهداف الآنية للنهضة في هدي النتائج ، والثالث : المجتمع بعد النهضة الحسينية : وسيمس المبحث ثلاثة موضوعات ، المجتمع في فكر المعصومين ، المجتمع عند أتباع النهضة ومن تأثروا بها ، والمجتمع عند الفريق الآخر . ثم خاتمة وأهم النتائج.

الحمد لله الذي أعزَّنا بأوليائه الطاهرين ، ومنَّ علينا برحمته التي لا تخبو محمد وآله الكرام البررة الأطهار ، فكانوا أعلام الهدى والعروة الوثقى ، سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنا غرق وهوى ، الذين نذروا وجودهم لطاعة الله ومرضاته ، فلم يعصوا الله طرفة عين ، حجج الله على البرايا ، فالسلام عليهم يوم ولدوا ويوم نلقاهم عند مليك مقتدر،وقد خاب من حمل ظلمهم .

وبعد فقد تلقينا هذه الدعوة الكريمة لمؤتمر الإمام الحسين ﷺ الدولي بقلوب ملؤها الشوق إلى التشرف في الكتابة عن أبيّ الضيم وأبي الأحرار الإمام الحسين ﷺ، فجزى الله العاملين عليه خير الجزاء على هذه المبادرة الطيبة التي تتناول واحدا من أهم الموضوعات التي وإن كثر الحديث والبحث فيها فما زالت موضع عناية الدارسين ، وما زالت أرضها عطشى لمزيد من القول فيها .

وقد أردت أن أكتب في هذا الموضوع ما أقرؤه عن هذا الحدث الإنساني التاريخي العظيم، بعين الباحث عن الحقيقة من مضانها ، فاخترت الحديث عن فلسفة النهضة الحسينية ، من طريق بيان ماهية النهضة في هدي المعايير التي يقرها العقل والمنطق ، وأن أُبعد ما يبعد العقل عن القول فيها ، راجيا من الله التوفيق والسداد فيما أرمي إليه ، فإن وفقت كان ذلك من فضله ورحمته ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني سعيت إلى الحقيقة ، ولكن الذنوب قد تحول دون البصيرة ، فأستغفره وأسأله العفو للسداد والتوفيق .

كان الموضوع الذي وقع عليه اختياري يتناول الجانب السلمي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، متخذا من التداول السلمي للسلطة طريقا للغوص في الموضوع ،فقد أراد الباحث من هذا المصطلح أن يقول وبالأدلة العديدة أن الإمام الحسين عليه السلام رجل السلام وصانعه وقائده، وقد سعى بنهضته إلى إدامة الحياة الكريمة التي أوجدها النبي الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله، ووأدها أو كادوا بنو أمية ، ولذلك انتفض الحسين عليه السلام ليعيد المجتمع إلى ما كان عليه زمن النبي، فسار بخطى جده المصطفى صلى الله عليه وآله ، وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث، الأول منها هو البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية ، وسيحاول البحث إثبات ما مر لمبدأ التداول السلمي للسلطة، ولا سيما فيما يتعلق بمرحلة الإعداد للنهضة الحسينية ، والمبحث الثاني فسيكون عن الأهداف الآنية للنهضة في هدي النتائج ، محاولين الاحتكام إلى الواقع والوقائع، والثالث من هذه المباحث فيكون حديثا عن المجتمع بعد النهضة الحسينية ليمس المبحث ثلاثة موضوعات، المجتمع في فكر المعصومين ، المجتمع عند أتباع الثورة ومن تأثروا بها ، والمجتمع عند الفريق الآخر . ثم يتبع ذلك خاتمة تبين أهم الوقفات في مسيرة هذه الدراسة الموجزة ، لنبين أهم النتائج التي توصلنا إليها والله المستعان .

المبحث الأول : البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية:

المبحث إطلالة سريعة على النهج المحمدي لبناء المجتمع الأمثل ، من طريق استقراء وتتبع الخطوات والإجراءات التي اتخذها النبي ﷺ، ومحاولة إيجاد فلسفة أو حكمة منها ، بما في ذلك ما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام وإعداده لهذه المهمة العظيمة .

لقد تحلى النبي الأعظم بصفات كريمة شهد بها الجميع ، تمثلت بالصدق والأمانة ، فلقب بهما ، فلقبه الصادق الأمين تكاد المصادر التاريخية لا تذكر غيره ممن لقب به ، فضلا عن صفات جليلة أخر من قبيل الشهامة والكرم والشجاعة ....إلخ ، ولعل الصفتين الأولتين لهما حدان الأول أنهما قد حببتا شخصه الكريم عند العرب ، وهذا من البديهيات طبعا ، والأخرى أنه قد خلقتا صعوبة عند النبي في أن يتآلف مع من يفتقدهما من أبناء المجتمع ، ولعل عزوفه عن مخالطة أقرانه وملازمته للغار مردها لهذا الأمر على ما يظن الباحث ، فضلا عن أن النبي ﷺ قد كان ممن اتسم بالفطنة والذكاء وسيرته تشهد بذلك ، وهذه الصفة جعلته دائم التأمل في شأن مجتمعه سيما ما عكفوا عليه من عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ، فلم يجد أفضل من الاختلاء فكان غار حراء أنسب مكان له .

لقد سعى الرسول إلى تصحيح مفاهيم الناس ومعتقداتهم ، ليتمكن من إنشاء مجتمعه الذي يرمي إليه ، والذي أمره الرب به ، لأن الأساس الذي يخلق التطور في المجتمعات هو الفكر ، فأراد أن يصحح فكرهم ، لينطلق إلى بناء المجتمع بناء يخلق له التقدم والرقي ، ولكنه اصطدم بعنادهم الذي كان متوقعا عند النبي ﷺ ، ولهذا قام النبي بالدعوة السرية ليخلق له قاعدة أولية للانطلاق بالنهضة المحمدية أولا ، وليتجنب عناد المشركين ثانيا ، ولعله كان مراعيا لمشاعر أبناء مجتمعه لاسيما شيوخهم وكبارهم ، فلم يشأ أن يجرح شخصهم بتسفيه عقيدتهم مباشرة ، بل احتاج إلى وقت ليكون القاعدة التي ينطلق بها ، وليعلم الأمر كبار قريش ولا يتفاجؤون بالدعوة ، وما قيل من أن الدعوة السرية سببا الخوف من قريش على وأدها أمر لا يستقيم مع كثير من الشواهد التاريخية والمواقف والحالات التي مرت بالنبي والمسلمين .

فلما أعلنت الدعوة ولقى النبي وصحبه ما لقوه من أمر قد يعرّض الدعوة للخطر ، لم

يطلب عقوبة السماء لرد كيدهم وأذاهم ، بل كان يكثر من قوله ودعائه لهم (إلهي رفقا بقومي فإنهم لا يعقلون) ، فاتجه إلى يثرب ليجد أرضية مناسبة لدعوته ، وليتجنب إيذاء قومه من بقائه ، ويعلمنا الرسول التضحية والصبر من أجل تحقيق الهدف ، لم يهدف النبي إلى تبليغ الدعوة فحسب بل كان همه إنقاذ المجتمع من الضلال الذي كان مخيما عليه من خلال بناء الفرد وتنمية شخصيته ليكون فردا نافعا وصالحا في مجتمعه .

بعد هذا بدأت دولة محمد صلى الله عليه وآله بالظهور ، وبدأت ملامحها بالبزوغ ، فمما يلفت النظر في هذه الدولة الفتية ، أن شرع رئيسها بصياغة دستور لها ، ولعل وثيقة النبي كانت الأولى في زمانه في أرض الجزيرة العربية ، ولعل أكثر ما يثير الإعجاب فيها أنها أعطت الأقليات حقها في هذه الدولة من العيش الكريم ، وأعطاهم واجبات لأنهم من المجتمع ، فيكون النبي قد أسس لنا مبدأ احترام حقوق الأقليات فهو السباق في هذا الميدان الذي يعد من مقومات الدولة المدنية والعصرية اليوم ، لكون أولئك هم جزء من المجتمع .

ولم يكفّ المشركون أذاهم عن المسلمين ، لأن ما صنعه محمد يعد تمردا عليهم وكسرا لهيبتهم أمام الآخرين ، فسلبوا أموال المسلمين التي تركوها في مكة ، فأراد النبي أن يوجه لهم ضربة ليكفوا أذاهم عن المسلمين ، فتعرض لقافلتهم ،وهنا أصر المشركون على قتال النبي صلى الله عليه وآله حتى بعد أن أمّنت قافلتهم ، فكانت بدرا التي فرضت عليه ، ومن بعدها معارك كانت تهدف إلى رد الأذى عن دولة المسلمين التي ما وصلوها إلا من بعد كثير من التضحية ، ولكن الغباء الذي كان فيه المشركون قد حال دون فهم مقصد النبي الأكرم في بناء مجتمعهم ، وعمى الغل بصيرتهم وملأ الحقد قلوبهم إلا ما رحم الله وهدى .

وسعى النبي بكل جهده ليحل السلام وينشره ، فقبل بصلح الحديبية مع ما فيه ، لأن النبي جاء من أجل السلام ، فليس صحيحا أن يُجرَّ إلى الحرب ، وهو المنتقد لسلوكيات قومه التي منها الحرب لأتفه الأسباب ، ثم إن المشروع الأكبر سيُهدَّد بخطر القضاء والانتهاء ، فأرسى مبدأ السلام وصيره وسيلة لنشر دعوته وتحقيق هدفه فحقق في سلامه وسلمه ما لا يتحقق في الحرب ، فمكّن الله له أن يدخل مكة منتصرا مرفوع الرأس بعد أن خرج منها ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا

خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ القصص: ٢١ .

وبعد أن شهدت الدولة شيئا من الاستقرار استأنف الرسول ﷺ مشروعه الأكبر ، فأراد له الدوام والبقاء ،كما أراد الله له ذلك ، فوضع أسسا لبقاء هذا البناء ، كان منها وضع مبدأ تداول السلطة ، فلما كان السلطان هو الموجه والمدير للمجتمع ، والسلطة والملك الدافع إلى التقاتل وسفك الدماء ، فلا بد من أن يجنب المجتمع شر التزاحم والتقاتل على السلطة ليكون تداولها سلميا ومرسوما بالطريقة التي تحفظ بناء المجتمع وتماسكه ، فأمره الله أن ينصَّ على ولاة أمره فأنزل هذا الأمر منزلة الرسالة ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ *وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ *وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ* إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧

وبقي النبي ﷺ يحدث الناس بما يخلق لهم الحياة الكريمة التي تحصنهم ممّا يعصف بالمجتمعات ويهوي بها إلى الهلاك ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبدا »[١] ، وقال في أكثر من مناسبة أن عليا وزيره وخليفته والأولى بالموالاة كحديث المنزلة[٢] وحديث الراية[٣]، فقد أسس لتداول السلطة وانتقالها ، ولكن بشكل محدد لا أن يترك للمنازعات ، لكي لا يجعل للفتن مكانا في هذا المجتمع الذي عانى النبي ما عاناه لبنائه ، ولم يقتصر النبي على التبليغ بعلي بن أبي طالب عليه السلام بل تعدى الأمر ذلك أن وضّح لهم كل الخلفاء الذين من بعده فقال الخلفاء من بعدي اثنا عشر وكلهم من قريش[٤] ، لينهي مسألة الاقتتال أو التنازع على السلطة الذي يعد من أخطر ما يعصف بالمجتمعات ، فوضع له النبي حلا ناجعا ، بيد أن القوم قد نأوا عنه ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من خلاف وشقاق .

والأساس في كل ذلك هو رفاهية المجتمع واستقراره ، ولذلك نجد أن الإمام علي عليه السلام قد ترك المطالبة بحقه في خلافة النبي ، لأنه قد نظر إلى مصلحة المجتمع ، التي أرادها النبي ، فآثر المواصلة على نهج الرسول ، وترك أمر المطالبة بالخلافة مع أحقيته بها ، يقول في خطبته المعروفة بالشقشقية : «لقد تقمصها فلان، وإنّه ليعلم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحا »[٥]،

كما صنع الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية ،وهو الذي يعرف ما معاوية ، لكنه نظر إلى المصلحة العامة وما يلحق بالمجتمع.

حتى الجانب الإنساني الذي تعامل به النبي صلى الله عليه وآله مع الحسن والحسين عليهما السلام ، كان يشير إلى أمته بمكانتهما عند النبي الذي هو لا ينطق عن الهوى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، يريد من ذلك تنبيه الأمة إلى منزلتهم ، وإعدادا لهما إلى أن يتسنم كل واحد منهم مسؤوليته إزاء المجتمع ، ففي ما كان يفعله النبي معهما من إطالة السجود إذا اعتلى ظهره أحدهما ، أو قطعه لخطبته إذا أقبل أحدهما عليه ، وأحاديثه التي بين منزلتهما عنده وعند الله وعند المسلمين ، كل ذلك هو عملية إعداد للدور الذي ينتظرهما .

إن ترك المجتمع من دون سلطان أومن دون آلية لوصول سلطان يودي به إلى الاقتتال والهلاك ، فتذهب الجهود هباء منثورا . ولعل هناك من ينتقد أسلوب عدم إعطاء الناس الحق في اختيار سلطانهم ، وأنه لا ينسجم مع الأنظمة للدول المتقدمة . وهذا أمر فيه قول كثير نسلمه للقارئ مع ملاحظة الواقع . ونترك الحديث عنه في هذا البحث ونرجئه إلى مناسبة أخرى ، إلا إشارة واحدة أحببت أن أذكرها للقارئ الكريم ، وهي أن عملية الإعداد والتهيئة لا تتنافى مع مبدأ الانتخاب من الشعب ، فلو وجدوا من هو أولى بالحكم من هؤلاء وأعرف منهم في حكم الله وتحقيق العدالة الاجتماعية فليأتوا به ، ولكن أنى لهم مثل هذا ، وتبقى الوقائع شاهدا لا يمكن تغافله.

هذه كلها كانت دروسا للإمام الحسين عليه السلام ، لأنه كان يسمع ويراقب ما قام به النبي وأبوه وأخوه ، ولهذا لم يخالف سنة النبي ولا نهج علي ولا نهج الحسن صلوات الله عليهم أجمعين ، فقد نظر أولا إلى مصلحة المجتمع الذي أسسه جده النبي وغذّاه أبوه وأخوه ، فكان شعاره الذي رفعه يؤكد هذه الحقيقة من دون أدنى شك ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله))[٦] ، ولهذا نجد الإمام عليه السلام قد انتفض لمصلحة المجتمع الذي بناه الرسول وجاهد أبوه وأخوه من أجل رفعته، فلم يبال في التضحية لمجتمعه ، فخرج لا أشرا ولا بطرا ، تدفعه نية الإصلاح والفلاح للعالمين ، بصدق ويقين منقطع النظير ، ولهذا هون ما نزل به لأنه كان بعين الله.

مما تقدم نجد أن النبي قد تحرك من أجل إصلاح مجتمعه ، وسعى لهذا الهدف بكل الوسائل فقدم الجهد والتضحيات ، ورغب عن ما رغب فيه غيره ، سيما حينما أراد سادة قريش أن يعطوه مفاتيح الكعبة ، لكنه أبى حتى لو أعطوه الشمس في يمينه والقمر في شماله، وقد كان رءوفا بمجتمعه وعمل من أجل مصلحتهم وأرسى السلام وفضله على غيره من الخيارات ، فأسس هذه المبادئ التي سار عليها الحسين بن علي عليه السلام ، إذ وجدناه رجل السلام الذي انتفض من أجل حياة كريمة بعدما لاحظ أن الأمويين قد حرفوا دين الله ، سيما حين حل يزيد خليفة عليهم ، وهو ما هو : قاتل النفس المحترمة ،شارب الخمر، الذي لا يتورع عن ارتكاب معصية ، وبعدما وصله المجتمع من انحراف فكري خطير نتيجة ممارسات آل أمية من أجل إثبات حقهم في الملك ، ولكي يفعلوا ما يفعلوا من دون حساب من الناس ، وخشية أن يرفض الناس دين محمد الذي مكن آل أمية منهم ، نهض الحسين نهضته العظيمة التي باتت نبراسا للشعوب المضطهدة ومنارة للباحثين عن الحرية والحياة الكريمة ، متبعا نهج النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، فأبقى الإسلام خالدا بعد أن أوجده جده صلى الله عليه وآله ، ورحم الله القائل الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء .

المبحث الثاني (المكاسب الآنية للنهضة في هدي الوقائع)

مرت النهضة الحسينية في ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى حينما لازم بيته واعتزل الناس لحكمة تخدم المجتمع والنهضة ، استمرت إلى حوالي سنة ٥٠ للهجرة ، ثم مرحلة تصديه للمرجعية الفكرية إلى حوالي ٥٨ للهجرة . بعدها جاءت مرحلة الزعامة السياسية للإمام ، بدأت في ٦٠ للهجرة[٧] .

بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام ، ومآل الأمر إلى الإمام الحسين عليه السلام ، واستمرار معاوية في نهجه، بل الأدهى حينما طلب معاوية البيعة من الناس لولده يزيد المعروف بشربه للخمر ومجونه ولهوه، أدرك أن المجتمع سيصل إلى نهاية الخراب ، وسيؤول الفكر إلى الانحراف التام، فلا بد من تدارك الأمر ، فبدأ التحرك وعقد مؤتمرا حاشدا في بيت الله دعا فيه وجوها من المهاجرين والأنصار والتابعين وعامة المسلمين ، فبين لهم المحن التي ألمت بالمجتمع من جراء النهج الأموي ، ودعا الناس إلى أن يذهبوا إلى أمصارهم ويحدثوا خاصتهم ومن يثقون بهم عنه وعن ما قام به معاوية [٨].

وفي سنة ٦٠ للهجرة ، هلك معاوية وأخلف يزيد بعده ، وبدأ النهج الأموي يزيديا هذه المرة ، فبعث يزيد كتابا إلى واليه في المدينة ليأخذ من الحسين البيعة ليزيد ، فبدأت المضايقة والمطاردة للإمام ، فعزم روحي له الفداء الرحيل إلى العراق وهنا يقف البحث على أمور ليعطي رأيا بها :

أولا لم يخرج الحسين من المدينة؟ .

لماذا يتجه إلى العراق دون غيره؟.

لم يأخذ عياله وأطفاله معه ؟.

ما عدد الذين خرجوا معه ، وهل أعد العدة لأمره ؟.

فلنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ، أما خروجه من مدينة رسول الله فذلك أنه عليه السلام قد علم أن المدينة ليست المكان المناسب لنهضته ، لأن مجتمعها وبفعل السياسة الأموية غير قادر على التفاعل الإيجابي مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام ، فضلا عن إحكام السيطرة الأموية عليها،

إمارة وعيونا ورجالا ، وبقاء الإمام في هذه البقعة لن يتيح له أن يفعل شيئا لمجتمعه الذي بدأ ينهار أمام ناظره ، فلا بد من حل ومخرج لإنقاذه ، ففكر بالعراق بديلا عن المدينة لتكون مهدا لنهضته ونقطة إشعاع لبث الحياة الكريمة ، وإنشاء المجتمع المدني السعيد الذي وصف الباري الحياة فيه بأنها ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ الحديد: ٢٠، إذ أن جمالها يغرّ الإنسان ، وكأنه لا يبرحها . وهو بهذا يذكرنا بخروج النبي إلى يثرب من أجل نهضته المحمدية ، فقد خرج الحسين بن علي ﷺ ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص: ٢١.ورحم الله السيد جعفر الحلي إذ يقول :

خرج الحسين من المدينة خائفا كخروج موسى خائفا يتكتم

لقد نصح معاوية ولده قبل وفاته فقال في وصيته التي سأختار منها ما ذكره عن المدن وأقوامها : « انظر أهل الحجاز فهم أصلك وفرعك ، فأكرم من قدم عليك منهم ومن غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم، ، وانظر أهل العراق فإنهم لا يحبونك أبدا ولا ينصحونك ... وإن سألوك على كل يوم أن تعزل عنهم عاملا فافعل، فإن عزل عامل واحد هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظاهرتك وقد بلوتهم واختبرتهم فهم صبر عند اللقاء حماة في الوغى ...))[٩] وإني لست أخاف عليك من قريش إلاّ أربعة : ((الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر)) [١٠] . وهذان النصان يبينان كل مجتمع وعلاقته مع الأمويين ومن سواهم ، وأن هذه الرؤية كانت موجودة عند الإمام الحسين ﷺ بل كانت معلومة عن كثر من الرجال ، لذلك كان الاختيار الخروج من المدينة والسير إلى العراق .

ثم إن الإمام محمد بن الحنفية قد دخل على الحسين ﷺ ، حين علم أنه عازم على الخروج من المدينة ، فقال له ناصحا أن ينزل غير العراق فقال: ((تخرج إلى مكة ، فإن اطمأنت بك الدار فذاك ، وان تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن ، فإنهم أنصار جدك وأبيك ، وهم

أرأف الناس وأرقهم قلوبا ، وأوسع الناس بلادا ، فإن اطمأنت بك الدار ، وإلاّ لحقت بالرمال وشعب الجبال ، وجزت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس ، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين))[11] . وقد شكره الإمام الحسين على نصحه ولم يبين له خطأ رأيه تأدبا كعادته عليه السلام ، لأن الإمام لم يخرج خوفا من يزيد أو أتباعه ، إنما خرج من أجل المجتمع لإصلاحه وحريته ورفاهيته ، فكيف يذهب إلى اليمن ، ولم يكن الخيار الموفق لانطلاق نهضته ، لكن الحسين آثر العراق لأنه الأنسب لنهضته ففيه شيعة أبيه ،وهم أرضية النهضة ومادتها ، يضاف إلى ذلك أمور لحظها الإمام عليه السلام في اختياره العراق ، منها أن العراق يحتل موقعا جغرافيا مهما في المنطقة يصلح أن يكون نقطة انطلاق النهضة إلى الشعوب ، ومنها أن العراق محط أنظار العالمين والمهتمين منذ ذلك الزمن وحتى اليوم ، ففي وسائل الإعلام لا تجد يوما محطة إعلامية إلّا وتذكر العراق ، في حين تشهد دول المنطقة كلها ومنها اليمن أحداثا مماثلة وكثير من القنوات تهمل ذكرها ، وما جرى في العراق في الوقت الراهن أقام الدنيا ولم يقعدها ، فقد وصل الأمر إلى أن تستقصي هذه القنوات حتى الأحداث اليسيرة من قبيل مقتل أفراد أو حوادث في مناطق متفرقة من البلد ، فالإمام عليه السلام يعلم بهذه المزايا قطعا وإلا ما أصر على الذهاب إلى العراق .

ولابد أن يعلل البحث إخراج الإمام لعياله ، مع أن هناك من نصح الإمام بإبقاء عياله ، بيد أن الحسين قد أصر على أخذ عياله ، فلماذا يفعل الإمام ذلك ؟ يمكن تعليل الأمر بكل ما يأتي :

*لم يخرج الإمام محاربا ، وإنما خرج لإصلاح المجتمع فغرضه الحياة لا الموت ، وإن كان عالما أنه سيموت « كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا» [12] ، وتكراره لعبارة :« القوم يسيرون والمنايا تسير وراءهم »[13] ، إلاّ أن ذلك من بصيرة المعصوم ، وهي من الغيب لا التوقع العملي ، وإلا لمَ خرج الإمام وهو يعلم أنه مقتول في ضوء المقدمات المادية؟، وإنما خرج لغرض الإصلاح وأخذ الأثر في المجتمع ، وإلّا يبقى في المدينة وهو مقتول لا محالة؟. بل أراد أن يؤسس نقطة انطلاق لنهضته التي حال دونها الأمويون كما ظنوا بقتلهم الحسين، وإلّا فإن الحسين برفضه للظلم والفساد الأموي فإنه سيحقق إصلاح المجتمع سواء قتل أم لم يقتل ، فقد خط نهج الإباء والخروج على الظالم سيما حين يكون مثل يزيد .

*ليس من شيم المرء ترك عياله وهو يعلم أن هناك من يستهدفه ويستهدفهم ، فكيف بابي الأحرار الحسين بن على بن أبي طالب .

*قد يكون ترك العيال نقطة ضعف على الإمام ، قد يستغلها الخصم الذي لا يتوقف عن أي سلوك لبلوغ هدفه .

بقي أن يوضح البحث مسألة الذين خرجوا مع الإمام ،كم كان عددهم ؟ لم يخرج معه إلا رهط قليل من إخوته وأبنائهم وبعض الأصحاب والصحابة . ألم يستطع الإمام جمع عدد أكبر للقتال ؟ وهو الذي جمع ما يقرب من السبع مائة نفر في منى . الجواب أن الإمام لم يخرج لحرب بل خرج للإصلاح وبناء المجتمع فماذا يصنع بالجيش ؟ لقد خرج الإمام بنهضة فكرية وعملية ،- وإن كانت الفكرية تعني العملية في المعنى والاشتراك لكن لا بأس من العطف للاهتمام - ، والنهضة الفكرية أوسع من أن تكون سلاحا أو دماء أو أي شيء آخر ، لذا عندما اعترض الخصم هذه النهضة لم يكن مهما دونها الأرواح والعيال والحياة وأي شيء آخر ، وهنا يكمن السر في النهضة الحسينية ، لقد كانت في الله ومن أجل المجتمع لم يكن لا للحسين ولا لعياله ولا لصحبه مطمع في شيء غير رضا الله وخدمة المجتمع ، ولهذا نلحظ أن المجتمع يقدم ويقدم من أجل الحسين وفاء لما قدمه للمجتمع ، ولكن أفضل ما يقدمه المرء وفاء لسيد الشهداء والبطل الخالد هو السير على نهجه وما أراد تحقيقه في المجتمع ، فمتى صلح الفرد كان ناصرا للحسين ﷺ ، أما غير ذلك ومن دون الصلاح الفكري والعملي فأمر قد يكون مردودا سيما إذا ألحق ضررا بالمجتمع أو بالنهضة نفسها ، وهنا أدعو إلى أن توضع الشعائر والممارسات في ميزان الحكم ، ليعلم الناس والمحبون ما يرضي الإمام وما يحقق الانتصار لنهضته وما يكون غير ذلك .

بقي أن أذكر أمورا أدلل بها على أن نهضة الإمام الحسين ﷺ كانت للحياة لا للموت وإنها أكبر من أن تكون ثورة سلاح أو موت ، فالموت والشهادة مفردة من المفردات العظيمة للنهضة الحسينية لكنها ليست كل النهضة . وهذا ما سيكون في المبحث الأخير من البحث .

المبحث الثالث (المجتمع بعد النهضة الحسينية)

إذا كان ما ذكرناه موضع القبول فإننا سنمضي للحديث عن المجتمع بعد النهضة الحسينية ، وسنتوقف متأملين عند ثلاث محطات الأولى عند المجتمع الذي بقي يراقب المعصوم ، والثانية عند من تأثر بجانب من النهضة الحسينية وهو جانب الشهادة ، والثالثة عند الطرف الآخر كيف وجد هذه النهضة وبماذا أثرت .

الوقفة الأولى : بقيت أشباح كربلاء وآثارها النفسية ملازمة للإمام زين العابدين عليه السلام، كونه كان متابعا ومشاهدا لما جرى على الحسين وعياله من وحشية التعامل مع من خرج لخيرهم وصلاحهم، مع من لم يرفع سيفا لقتالهم ، لم نجد في أن الإمام قد دعا إلى حمل سيف أو إراقة دماء ، لأنهم ما كانوا كذلك أبدا ، حتى مع كل الثورات التي جاءت بعد واقعة الطَّف المروعة، من أمثال حركة المختار بن يوسف الثقفي ، والتوابين ، وغير ذلك ، لم نجد من عد أو خطط منهم سلام الله عليهم، لأنها وبكل بساطة لم تمثل النهج الرسالي الذي سار عليه المعصومون ، لهذا مارسوا دورهم في الحياة كونهم مصلحين يهدون الناس لما فيه خيرهم ، فهم عدل الكتاب والوسيلة التي تنجي الناس من الضلالة والزيغ عن الحق . ولست فيما قلت أني أقلل من شأن الثورات ضد الطغاة معاذ الله ، بل إني لأقلل شأنها أمام العمل المتكامل الرائع في نهضة الحسين عليه السلام التي صنعت الحياة إزاء الموت الذي صنعه الأمويون في تضليل العقول وتجهيل الناس، فالثورات التي تخرج إنما تنظر إلى جزئية من جزئيات النهضة ، لهذا لم تتورع الثورات من إراقة الدماء أمام من يقف ضدها أو يرفضها ، إلا نهضة الحسين عليه السلام ، فقد عرف أن المجتمع مضلل فكيف يقاتله؟! وهو من جاء من أجل إصلاحهم وصلاحهم ، لذلك لا يمكن القول أن الحسين عليه السلام خرج مقاتلا بأي حال من الأحوال ، لكن القوم قد فرضوا عليه سل السيف أو الموت بالذل والهوان، ((ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام)) مرددا أبيات فروة بن مسيك المرادي :

فإن نهزم فهزامون قدما وإن نهزم فغير مهزمينا وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا إذا مـــا المـوت رفـع عن أنـــاس بـكـلـكـه أنـــاخ بـآخريـتنا

لم يكـن هـذا الخـروج إذا مـن إجـل المعركـة ، ولم يـدع الحسـين إلى جمهـرة النـاس مـن حولـه، بـل طلـب مـن مـن يريـد اللحـاق بـه والخـلاص مـن طغيـان السـلطة المسـتبدة الغاشـمة أن يلحـق بـه عاجـلا أو آجـلا ، وأعلـن سـلام عليـه وجهتـه ، فبقـي مـن المسـلمين مـن يراقـب الأمـور ، لـيرى إلى مـا سـتؤول إليـه ، مـن دون أن يكـون لـه موقـف واضـح مـن الإمـام الحسـين ﷺ ، أو مـن لم يكـن بقـادر عـلى أن يعلـن تأييـده للإمـام خشـية مـن جـور الجائريـن ، وهنـاك الذيـن نـاصروه وكانـوا معـه وغالبيتهـم مـن أهـل الكوفـة ، وهنـاك مـن تحـزب لقتالـه وغالبيتهـم في جيـش بنـي أميـة وممـن كانـت لهـم مطامـع ماديـة دنيئـة في قتـل الحسـين[١٤].

الوقفـة الثانيـة : عـاش يزيـد بعـد استشـهاد الإمـام الحسـين ﷺ ثـلاث سـنوات وشـهر وبضعـة أيـام غـزا بهـا المدينـة وأباحهـا ثلاثـة أيـام للجنـد وغـزا الكعبـة ورماهـا بالمنجنيـق ، بعـد ذلـك تصدعـت الدولـة الأمويـة وتمزقـت وعاشـت حروبـا داخليـة .

شـهد التأريـخ فيهـا ثـورات حملـت السـيف للـذود عـن أهدافهـا ومراميهـا ، متخـذة مـن موقـف أبي الأحـرار وسـيد الشـهداء مثـلا في ترخيـص النفـس أمـام الغايـات السـامية ، إذ اسـتطاعت ثـورة الحسـين ﷺ أن تحـرر النـاس مـن القيـود وأن يعلنـوا صرخاتهـم بوجـه الاسـتبداد والجـور ، فبزغـت ثـورات عـدة أشـهرها ثـورة أبي اسـحق المختـار الـذي اسـتطاع أن يقتـص مـن بعـض الجـرم الـذي ارتكبـه الأمويـون بحـق آل بيـت النبـوة ، وتتالـت بعدهـا الثـورات الواحـدة تلـو الأخـرى[١٥] .

ولكن هذه الثورات لم ترق إلى ما ارتقت إليه النهضة الحسينية ، فهل من علة لذلك ؟

لم تكـن نهضـة الحسـين تنطلـق مـن ضغائـن في نفسـه مـن أحـد حتـى لـو كان يزيـد ، فهـو لم يخـرج عـلى يزيـد كونـه ابـن معاويـة أو غاصبـا لحقـه ، بـل لأن المجتمـع سـيهلك تمامـا بوجـود نهـج يزيـد، فنهـض لتـدارك المجتمـع الـذي سـخر الله لـه الأنبيـاء والأوليـاء لصلاحـه . فـأي عمـل ثـوري أو بطـولي يمكنـه أن يقـترب ممـا قـام بـه الحسـين بـن عـلي مـن نكـران للـذات ، لقـد تحـلى بنهـج أبيـه أمـير

المؤمنين حين خرج لصد عمرو بن ود العامري إذ قال النبي فيه :« برز الإيمان كله إلى لشرك كله»[١٦].عندما تأخر علي عليه السلام في قتله وسأله النبي صلوات الله عليه وعلى آله ، فأجابه بأنه إنما تأخر لأن ابن ودٍ قد بسق في وجهه الشريف وكان غاضبا فخشي أن يقتله وهو كذلك ، فتأخر حتى هدأ روعه ، فأي أناس أولئك صلوات الله وسلامه عليهم ؟.

الوقفة الثالثة : لقد أذهلت صرخات أبي عبد الله الحسين أذهان الطغاة ، وهزت مضاجعهم تلك المواقف التي وقفها الحسين وأصحابه ، فدكت تلك المواقف عروش الطغاة ، وعلموا أن ليس لهم بقاء أمام صمود الأحرار ، ولهذا بقي هتاف يا لثارات الحسين تهز مضاجعهم، ويتخذها الأحرار في كل زمان ومكان . لكن شعار يا لنهضة الحسين يكون شعارا للحياة وللشهادة والخير.

لقد اختلف الناس في رؤيتهم لنهضته فصوروه بثلاث صور: الصورة الأولى التي يصورها الإعلام الأموي الذي تبنى أن الحسين خارج على الدين وخارج على الخليفة الشرعي ، فهو مارق في عرفهم وفيما أوهموا الناس ، فقد ذكرت مصادرهم هذا الفهم فيما روي من بعض ما جرى من كلام بين قادة الجيش الأموي وبين الجند إذ قال : « يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام »[١٧] ، حتى وصلت هذه الأقوال إلى يومنا هذا ، كما نجدها عند الشيخ الخضري الذي يقول : « وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف ، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا ... غاية الأمر أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ولم يعدّ له عدته . فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه »[١٨] . والصورة الثانية هي الصورة التي أظهرت الحسين عليه السلام ثائراً من أجل الملك وكان من حقه ذلك بيد أنه قد أخطأ فقُتل وانهزم ، ليؤسس العباسيون لهم الحق في الخروج على الأمويين ويأخذون الملك منهم باسم الثأر للحسين والانتصاف للعلويين جميعا كما كانت تنص شعاراتهم على ذلك (الرضا من آل محمد) ، فقد خطؤوه باختياره الكوفة دون غيرها ، كما خطؤوه بصحبِه لعياله نساء وأطفالا ، وقد تبنى هذه الصورة جمع من المؤرخين ممن كتبوا التاريخ في عهد بني العباس مثل الطبري وغيره ، وحذا حذوه فيما

بعد الذهبي وابن كثير وغيرهم [١٩]، أما الصورة الثالثة التي تقابل ما تقدم فهي التي تصور الحسين عليه السلام وارث الأنبياء وإماما من أئمة الهدى ، خرج من أجل دحر الظلم وإرساء الدين الذي أقامه جده المصطفى صلى الله عليه وآله ، وهذا ما ظهر في تراث أهل البيت وأحاديثهم ، وما تناقله شيعتهم ومحبوهم وكل من نظر ببصيرة وعدل وإنسانية وأزاح هواه وأمراض النفس التي تُسلّم نفسها إلى الشيطان . فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : « اللهم إني أشهد أن هذا القبرَ قبرُ حبيبك وصفوتك من خلقك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة لك على خلقك، فأعذر في الدعوة، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والعمى والشك والارتياب، إلى باب الهدى والرشاد. وأنت يا سيدي بالمنظر الأعلى ترى ولا ترى، وقد توازر عليه في طاعتك من خلقك من غرته الدنيا وباع آخرته بالثمن الأوكس، وأسخطك و أسخط رسولك صلى الله عليه وآله، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين النار، اللهم العنهم لعنا » وبيلا « وعذبهم عذابا » أليما[٢٠]، وهنا تتجسد الصورة التي يصورها أهل البيت عن الحسين عليه السلام بشكل جلي ، وهذا النهج التصويري هو ما قام به شيعته وموالوه إلى يومنا هذا وحتى ما يشاء الله سبحانه وتعالى .

الخاتمة والنتائج

يمكن أن يجمل البحث نتائجه في النقاط الآتية :

*وجد البحث من طريق مسيرته وعرضه لشيء من سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسيرة أمير المؤمنين وولديه الحسنين عليهم السلام، أن هناك نهجا متحدا عندهم صلوات الله عليهم أجمعين ، فقد كانوا يختلفون عن التفكير السائد عند كثير من الناس أن الإصلاح يكون بالسيطرة أولا على دفة الحكم ومنه إلى المجتمع ، ولكنهم لم يقصروا الإصلاح على هذا بل يمكن أن يتخذ طرائق شتى لحصوله ، وهذا ما نجده عند ملاحظة ما مر في البحث لسيرة النبي وآله .

*إن فكرة الحكم وإدارة الدولة ورعاية شؤون الناس عند أهل البيت يكون بشكل آخر عن ما عند الناس ، فهو لا يعني الجلوس في كرسي الحكم أولا .

*فكرة الحكم إما أن تكون سلمية فبها وإلا فلا قيمة للحكم عندهم لهذا أسسوا قبل الجميع مبدأ التداول السلمي للسلطة بالطريقة التي يرونها .

*إن الإمام الحسين قد خرج ناهضا بأمته ، ومخلصا لها من طغيان الظلمة ، من طريق مسيرة إصلاح وتوعية وتبصير لما ستؤول إليه الحياة .

*الحسين عليه السلام بطل السلام ورجل السلام كجده وأبيه .

الهوامش

١-سنن الترمذي : ٣/ ٥٤٣
٢-ينظر : صحيح مسلم : ٤/ ١٨٧٠ ؛ فضائل الصحابة : ١/ ١٣-١٤
٣- ينظر : صحيح البخاري : ٥/ ١٨ ؛ بحار الأنوار : ٣٩/ ٨- ١٠
٤- ينظر : صحيح مسلم : ٣/ ١٤٥٢
٥-نهج البلاغة : ٣٦
٦- بحار الأنوار : ١٠ / ٣٤٢
٧- ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٢١
٨- ظ : المصدر نفسه .
٩- الفتوح : ٤/ ٣٥١
١٠- تاريخ الطبري : ٥ / ٣٢٢
١١- بحار الأنوار : ٤٣ / ٤٤٢
١٢- مقتل الحسين : ٦٥ .
١٣- المصدر نفسه: ٦٢ .
١٤- ظ : الحسين في مواجهة الظلال الأموي : ٦٣٢ .
١٥- المصدر نفسه ٣٤٢ .
١٦- بحار الأنوار : ٩٣/ ٥
١٧- تاريخ الأمم والملوك : ٣/ ٤٢٣
١٨-الدولة الأموية : محمد الخضري / ٧٢٣
١٩- ينظر الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي ﷺ وعلي عليه السلام : السيد سامي البدري / ٤١
٢٠- كامل الزيارات : ابن قولويه / ٣٢٢

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*بحار الأنوار : الشيخ محمد باقر المجلسي ، إحياء الكتب الإسلامية ، قم المقدسة- إيران ، ١٣٨٨هـ .

*تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ٣١٠هـ ،ط٢ ، دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٧هـ .

*سنن الترمذي : الترمذي ٣٧٩هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ

*صحيح البخاري :محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(٢٥٦هـ) ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ.

*صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري(٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

*الفتوح : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤هـ ، تحقيق : علي شيري ، مطبعة دار الأضواء، ١٤١١هـ.

*فضائل الصحابة : أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

*مقتل الحسين : السيد عبد الرزاق المقرم ، ط١ ، مطبعة الشريعة ، ١٤٣٢ هـ ق .

*نهج البلاغة للإمام علي : جمع الشريف الرضي ، تحقيق: الشيخ فارس الحسّون ، مركز الأبحاث العقائدية ، قم المقدسة ، إيران ، ط١، ١٤١٩هـ .

دور النهضة الحسينية
في التغير الاجتماعي تحليل سوسيولوجي

أ.م.د بشير ناظر حميد
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

ملخص البحث

الحديث عن النهضة الحسينية ودورها في التغير الاجتماعي أصبح واضحاً ومسموعاً أكثر من ذي قبل، وذلك لأسباب كثيرة ومعروفة للجميع لا مجال لذكرها الان، فعملية التغير الاجتماعي مستمرة ما دامت الحياة، والنهضة الحسينة لم تكن خاصة بزمان ما أو مجتمع معين، وإنما هي تصح لكل زمان ولكل مكان ولجميع المجتمعات بغض النظر عن دياناتهم وانتماءاتهم وألوانهم وأطيافهم، فهي نهضة عالمية لجميع الإنسانية. كما أن استذكارها واستلهام العبر والمواعظ منها هي ديمومة لاستمرار الإسلام بشكل خاص والحياة عامة.

وتمثل مقولة الإمام الحسين ﷺ: « لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وانهي عن المنكر ... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» اعلان واضح من اجل التغيير والإصلاح بجميع مجالات الحياة الاجتماعية. كما ان ثورة الإمام الحسين ﷺ ودعوته الى الإصلاح تختلف عن جميع الثورات وجميع الدعوات لكونها خرجت من رحم المجتمع المقهور، فضلاً عن كونها أصبحت فيما بعد إطاراً لكل الدعوات المطالبة بالتغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وفي الكثير من المجتمعات وفي مناطق مختلفة من العالم. كما أن التغير الاجتماعي الذي يحدث نتيجة النهضة الحسينية يحمل صفة الاستمرارية لكونه متجدداً وحسب التطورات التكنولوجية والثقافية التي تحدث في شتى مجالات الحياة المختلفة، ويظهر على شكل ممارسات وافعال في سلوك الافراد، وخصوصاً في شهر محرم الحرام الذي قامت فيه ثورة الإمام الحسين ﷺ. ولهذا يهدف البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

١-ما هي مفاهيم التغير الأجتماعي، والثورة، والإصلاح الاجتماعية في إطار النهضة الحسينية؟

٢-كيف أسهمت النظريات السوسيولوجية في تفسير النهضة الحسينية؟

٣-ما هي مظاهر التغير الاجتماعي التي أحدثتها النهضة الحسينية؟

أولا: مفاهيم البحث

١-التغير الاجتماعي

إن الحديث عن التغير الاجتماعي يعني الحديث عن المجتمع برمته في تفاعلاته المعقدة وفي اتساعه في الزمان والمكان، كما أنه يعني الإشارة الى نقيضه أي الى عناصر الثبات والاستقرار في المجتمع. فليس هناك تغير بغير ثبات، كما ان التغير عندما يحدث لا يحدث بشكل لا متنامٍ وانما يكون له دائما حدودا يحدث فيها، وأيضا الحديث عن التغير الاجتماعي يعني صعوبة القياس وصعوبة الإمساك بالعناصر الأساسية فيه. وقد يشير التغير الى التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي التي تشكل العلاقات الاجتماعية المنظمة التي هي جوهر البناء الاجتماعي، ويتضمن ذلك كل اشكال التحول التي تحدث في القيم والمعايير وقواعد السلوك الضابطة لأنماط التفاعل بين الافراد، والتغير بهذا المعنى هو التبدل الجوهري في الأبنية الاجتماعية أي في أنماط الفعل الاجتماعي بما في ذلك النتائج المرتبطة بهذا التبدل كما تنعكس في التغيرات التي تطرأ على القيم والمعايير والمنتجات الثقافية والرموز[١]. ويشير مصطلح التغير الاجتماعي الى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي، والنظم، والعادات، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك، أو كنتاج لتغير اما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية[٢]. والتغير الاجتماعي يمكن تعريفه اجرائياً هنا هو الذي يحدث في البيئة الاجتماعية بشكل عام وبأنساقها المختلفة نتيجة النهضة الحسينة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ للهجرة والتي تتجدد في كل عام في العاشر من المحرم الحرام.

٢-الثورة

مصطلح ذو معان عدة، ولكنها مرتبطة ببعضها بعضاً، وهو يستعمل أحياناً للإشارة إلى تدمير احدى الجماعات الحاكمة بواسطة جماعة أخرى. وأن كان هذا الحدث يسمى انقلاباً، إذ أن الثورة تطلق عادة على الوقائع التاريخية التي يتم فيها القضاء على نظام سياسي، وليس فقط تدمير جماعة أو صفوة حاكمة. أما المعنى الثالث للثورة فهو إحداث تغييرات جذرية في النظام

الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، سواء كانت تلك التغييرات مصحوبة بثورة بالمعنى الأدق للكلمة أو داخلة في إطار ثورة[٣]. والحق ان الثورة فيما تتضمنه من معان أصبحت عادة لا تعني شيئاً أكثر من مرادف «للتغيير» وربما التغيير المفاجئ الهائل. كما اننا نستعمل لفظ الثورة والصفة المشتقة منها ثوري للدلالة على مجموعة من التغيرات المتباينة[٤]. والثورة هنا هي ثورة الإمام الحسين علية السلام التي قام بها عام ٦١ للهجرة من أجل التغيير والإصلاح في الامة الإسلامية بشكل خاص وفي الإنسانية بشكل عام، لأنها ثورة عالمية تصلح لكل زمان ولكل مجتمع قامت لكي تؤسس لدولة العدل الاجتماعي.

٣-الإصلاح الاجتماعي

يقصد بكلمة الإصلاح في اللغة العربية: زال عنه الفساد، وصلح الشيء أي زال فساده، والصلاح الاستقامة والسلامة من العيب[٥]. أما المعنى الاجتماعي للإصلاح فيعني التغيير إلى الأحسن، وتحقيق التقدم وتحديث المجتمع وتطويره بما يتناسب وإمكانية المجتمع المتاحة، وينبع هذا التغيير والإصلاح في المجتمع من حاجة المواطنين، ولا تمليه عليهم النخب الحاكمة ولا حتى تفرضه عليهم، ويشير الإصلاح الاجتماعي إلى الحركة العامة التي تحاول القضاء على المساوئ التي تنشأ من خلل وظائف النسق الاجتماعي أو أي جانب منه، ويهدف الإصلاح الاجتماعي إلى تذويب الفوارق الطبقية، وتحقيق التكافؤ في الفرص والمساواة أمام القانون، والعدالة في توزيع أعباء الإنفاق العام، واشتراك جميع أفراد المجتمع في المسؤولية والتمتع بالحريات السياسية. ويرجع الفضل إلى تشارلز بوث في استعمال مفهوم الإصلاح الاجتماعي ففي دراسته عن مشكلة الفقر استطاع التوصل إلى عامل أو نتيجة أساسية هي أن الفقر يرجع إلى سوء إدارة وتنظيم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ولا يرجع إلى تقصير الفرد وسوء أخلاقة، كانحرافه السلوكي أو كسله أو إفراطه في تناول المشروبات الكحولية، ومن أسباب الفقر التي وجدها بوث في بحثه أيضاً عدم وجود توازن بين متطلبات العائلة ودخلها، إذ أن متطلباتها واحتياجاتها تزيد بكثير عن مقدار دخلها وذلك لكبر حجمها وقلة دخلها، ومن العوامل الأخرى التي كشفها بوث في بحثه عدم وجود مؤسسات الضمان المالي والصحي التي تضمن للعمال تأيناً أو دخلاً عن البطالة والمرض وقد دفعت هذه

النتائج بعض أعضاء الطبقة الوسطى في أوربا إلى المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية[٦]. بهذا نستطيع أن نقول إن حركة الإصلاح الاجتماعي تحاول تحسين الأحوال والأوضاع داخل النسق الاجتماعي دون إحداث تغيير في الطابع المميز للنظام بشكل عام، وبهذا اذاً نستطيع أن نعرف مفهوم الإصلاح الاجتماعي: هو كل ما جاء به الإمام الحسين من فكر وفعل من أجل تغيير واقع المجتمع من حال إلى حال أفضل مع القضاء على كل أنواع الفساد والتسلط والاستبداد التي كانت سائدة في المجتمع.

ثانيا: الحركات الاجتماعية كمصدر للتغير

أبرزت دراسات علم الاجتماع أن التغير الاجتماعي يحدث نتيجة للحركات الاجتماعية، فعندما يشعر أفراد عديدون في المجتمع أن هناك قصوراً في البناء الاجتماعي يحول دون إشباعهم لحاجات معينة أساسية، واخذت هذه الحالة صفة العموم فأنهم ينخرطون في مناقشات فيما بينهم، ويتوصلون إلى أن حاجاتهم لن تشبع إلا بإحداث تغيرات في البناء الاجتماعي، عندها تبدأ الحركات الاجتماعية في التشكل للقيام بالتغير، وهذه الحركات قد تكون حركات إصلاحية أو حركات ثورية أو حركات تعبيرية، ذلك أن الحركات الإصلاحية تقوم بأجراء تغيرات في اطار البناء الاجتماعي القائم كإصدار تشريعات وقوانين أو اجراء تعديلات واسعة هنا وهناك، على أن تقوم بهذا الإصلاح الحكومة القائمة عندما تجد تقبل الناس للأهداف الموضوعية لحركة الإصلاح. وقد تأخذ الحركات الاجتماعية شكل الثورة التي تقوم بأجراء تغيرات واسعة ليس في البناء الاجتماعي فحسب وأنما أيضاً في الجوانب الاقتصادية والسياسية، وقد تشمل جميع مظاهر الحياة في المجتمع[٧]. ومن هنا نعتبر أن النهضة الحسينة حركة اتخذت شكل الثورة من أجل التغير الشامل في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بمعنى انها تشمل البناء الاجتماعي بشكل عام مجتمعاً وأفراداً.

ثالثا: التنظير السوسيولوجي للنهضة الحسينية

للنظريات الاجتماعية دور كبير في تحليل الظواهر والمشاكل الاجتماعية، ولها القدرة الكافية على تفسير وتحليل جميع الظواهر والمشكلات التي تحدث في المجتمع، سواء كانت في النسق السياسي، أو الديني، أو الاقتصادي، أو الثقافي، كما ان نظريات التغير الاجتماعي متعددة،

وكذلك فقد تم تناول موضوع التغير الاجتماعي من زوايا مختلفة، ولهذا سوف نتناول موضوع النهضة الحسينية ودورها في التغير الاجتماعي بالتحليل والتفسير من خلال بعض النظريات السوسيولوجية التي نعتقد انها الأقرب لتحليل موضوع البحث، وهي:

١-نظرية التغير الاجتماعي عند اوكست كونت

يعد كونت أحد رواد علم الاجتماع الأوائل الذين أسهموا في تطوير المعرفة السوسيولوجية، وقد أعتمد كونت في صياغة نظريته على بناء معرفي واسع اشتمل على كل العلوم والمعارف السائدة أنداك، فجاء اتجاهه الفكري تركيبياً قائماً على نسق موحد للمعرفة، والتحليل والإصلاح والتغير الاجتماعي ولبناء تصوره النظري ذهب كونت إلى أنه هناك ثلاثة جوانب رئيسية تنطوي عليها طبيعة الانسان تنتظم العلاقة بينها بصورة مرضية وتشمل هذه الجوانب

*المشاعر: وتتضمن الدوافع والعواطف التي تكمل خلف النشاط الذي يمارسه الإنسان.

*الأفكار: وهي تخدم المشاعر ولكنها تعين على التحكم فيها.

*الأفعال: تلك التي تتم في ضوء المشاعر والأفكار معاً.

وهذه الجوانب توجد في الحياة الاجتماعية وفي السلوك الاجتماعي مع الاخرين، ووجود المجتمع واستمراره ينبغي أن يقوم على تنظيم محدد للنظم والمؤسسات والمعرفة والقيم والمعتقدات، وهي جميعاً مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالمشاعر والأفكار والأنشطة التي يمارسها أعضاء المجتمع[٨]. وعند التطبيق على ثورة الإمام الحسين ﷺ سوف نلاحظ ان هذه النهضة والمتمثلة بثورة على التخلف والفساد والجهل الذي كان يسود في المجتمع بقيت خالدة إلى يومنا هذا، وهي مستمرة ما استمرت الحياة لأنها مست مشاعر الافراد وغيرت أفكارهم وأصبحت أفعالاً يقوم بها الأفراد في المناسبات الدينية، وخصوصاً في شهر محرم الحرام التي قامت فيه ثورة الإمام الحسين ﷺ. وأصبحت ممارسة الشعائر والطقوس والممارسات الدينية أحد ملامح المجتمع العراقي التي تميزه عن بعض المجتمعات المجاورة.

٢-نظرية الفعل الاجتماعي عن تالكوت بارسونز

تعد نظرية الفعل الاجتماعي إحدى النظريات المهمة في المدرسة البنائية الوظيفية التي ذاعت

شهرتها بين مدارس واتجاهات علم الاجتماع المعاصر، وتضرب البنائية الوظيفية بجذورها في أعمال الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع بل أنها ارتبطت بعلم الاجتماع منذ ظهوره حتى الوقت الحاضر، والوظيفية تعني الأثر أو النتيجة، وعندما يضاف مفهوم البناء فإن ذلك معناه أن البناءات تؤدي وظائف، والدور هو الوظيفية بمعنى أن السلوك الذي يؤديه الجزء انما من أجل بناء الكل ولفهم الوظائف التي ينطوي عليها بناء معين فأنه ينبغي البدء بمختلف الآثار أو النتائج المترتبة على وجود هذا البناء وبالتالي فالمجتمع لدى البنائية الوظيفية هو نسق مؤلف من مجموعة نظم اجتماعية وانماط محددة بالثقافة، بحيث تعد أنماط العلاقات بين الأدوار والشخصية جوهر البناء الاجتماعي، وبذلك فأن أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية هي البناء الكلي للمجتمع.

وترتبط نظرية الفعل الاجتماعي بعالم الاجتماع تالكوت بارسونز الذي اهتم بقضية النظام الاجتماعي العام متبنياً نظرية نسقية للفعل الاجتماعي الذي ينتج من تفاعل (أفعال وفاعلين ومواقف) مجموعة من الناس مع بعضهم بعضاً في شبكة من العلاقات المتفاعلة بهدف الاشباع الأمثل لاحتياجاتهم الأساسية بحيث تمثل العلاقة بينهم وبين المواقف جوهر النسق الاجتماعي، وبالتالي فمهمة التحليل البنائي الوظيفي تتمثل في دراسة الأبنية لوظائفها، والتحليل المنهجي لمكانات الفاعلين وادوارهم في صلاتهم بالمواقف الاجتماعية.

ويرى «بارسونز» أن هناك مصدرين للتغير الاجتماعي الذي ينشأ عندما يختل التوازن داخل النسق، الأول: ناتج من الضغوط الداخلية، أو الذاتية مثل ظهور اختراعات، أو تغيرات في التركيب السكاني، أو نتائج عمليات الصراع والضغوط التي تحدث داخل النسق. والثاني: يحدث من خارج النسق، أي من البيئة الطبيعية كظهور ثروات جديدة، أو حدوث نكبات طبيعية، أو بسبب الاحتكاك الثقافي بمجتمعات أخرى، أو من نسق الشخصية، مع تأكيده على أن هناك تفاعلاً مستمراً بين هذين النوعين من التغير، حيث تثير التغيرات الخارجية عدة تغيرات داخلية، والعكس صحيح، وعند استجابة النسق لهذه العوامل الداخلية والخارجية فإن النسق يحاول أن يوجهها بعملية التوازن الديناميكي. وعندما تحل التغيرات عموماً، فإنها تؤدي

إلى إعادة تنظيم الأدوار والعلاقات، وقد تظهر أدوار جديدة، أو يكتفي ببعض التعديلات على مضامينها، عندها يحول النسق العودة إلى حالة التوازن، للتغلب على ما قد ينتج من حوادث اجتماعية، ومن ثم تتولد بعض الوظائف التي تؤدي إلى عودة النسق إلى حالة التوازن النسبي. ويركز تالكوت بارسونز على العامل القيمي أو العامل الأخلاقي في تفسير التغير، حيث يرى أن أعمق أنواع التغير يحدث في النسق الفرعي للقيم والمعتقدات، كونها تعمل على فقدان النسق لتكامله وتماسكه. وتعد القيم والمعايير محكمات لقياس درجة التوازن والتكامل داخل المجتمع[٩]. وما كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام أن تقوم لولا مجموعة كبيرة من المواقف التي هددت بانهيار المجتمع وتدهوره وكانت نتيجتها فعلاً اجتماعياً على شكل ثورة غيرت المجتمع وأسست لنظام اجتماعي جديد قائم على العدل والمساواة وفعل الخير.

٣- نظرية الممارسة الاجتماعية عند بيير بورديو

تكتسب نظرية الممارسة الاجتماعية أهميتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة، بسبب قدرتها التفسيرية المتنوعة والملائمة لكشف طبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة، فيمكن من خلالها تفسير التباينات الاجتماعية والثقافية في آن واحد، وأيضا تفسير الظواهر السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها. والممارسة الاجتماعية عند بيير بورديو ليس مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنه فعل موجه من الماضي، فعل تاريخي، فكما لا بد من أن تتضافر عدة ظروف قبل هطول المطر فكذلك الممارسة، بمعنى أن مظاهر التغير تتم من خلال ظروف تاريخية بنائية كامنة في المجتمع، تظهر بشكل ممارسات فردية، أو جماعية تتم في إطار علاقات القوة، وصور التفاعل الرمزي داخل مجالات البناء الاجتماعي[١٠].

كما أن الشعائر الحسينية باعتبارها أحد مظاهر التغير الثقافي في أشكالها المشروعة ليست وليدة اليوم، ولا هي من نسخ الممارسات المستحدثة، بل تمتد في تاريخ الإسلام إلى القرن الهجري الأول، وتخضع في شكلها الاجتماعي وتعابيرها الأدائية الفنية إلى إطار تشريعي يؤسس لمشروعيتها، ويحث على ممارستها في أوساط المسلمين. إذ إن قضية أبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله هي قضية إسلامية عامة، يسع نورها الجميع، وهي ليست حكراً لطائفة معينة، وإنما هي للجميع،

للمسلمين ولغير المسلمين، سواء كانت بالممارسة أو بالعمل، ولكننا نجدها تظهر في ممارسات المسلمين الشيعة أكثر من كل بقية الطوائف، و يعزوها الكثير من الباحثين إلى أن المجتمعات الشيعية هي أكثر المجتمعات التي تعرض فيها الإنسان المسلم لصنوف القهر، وهو القهر الذي يذكره دائماً بمأساة كربلاء التاريخية، التي تلعب دورها في فهم البناء النفسي للشخصية الشيعية. فضلاً عن هذا أصبحت اليوم الشعائر الحسينية جزءاً من الممارسة الاجتماعية لأفراد المجتمع، فهم يؤدونها أما صراحةً في شهر محرم الحرام وأربعينية الإمام الحسين ﷺ، أو ضمناً من خلال ممارستها كجزء من حياتهم اليومية، وبهذا يمكن أن تكون الشعائر الحسينية أحد أهم روافد تشكيل الثقافة بالنسبة للكثير من أبناء المجتمع. كما أن ممارسة الشعائر الحسينية تعبر عن فعل اجتماعي أصبح جزءاً من الممارسات اليومية لأفراد المجتمع، وأصبحت مظهراً من مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي تتغير وتتطور مع تطور المجتمع التكنولوجي.

رابعا: النهضة الحسينية ومظاهر التغير

ان موضوع التغير الاجتماعي الذي احدثته النهضة الحسينية ليس بالأمر الهين إذا اخذنا بنظر الاعتبار التطورات السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بفعل هذه النهضة التي قام بها الإمام الحسين ﷺ من خلال ثورته التي قادها ضد قوى التخلف والظلام التي كانت تقود المجتمع في ذلك الوقت، واستمرت نتائج هذه النهضة الى يومنا هذا كونها غيرت فكر الافراد ومست وجدانيتهم، ومن أهم مظاهر التغير الاجتماعي التي حققتها النهضة الحسينة وكانت سبباً لقيامها والدعوة اليها هي ما يأتي:

١-التغير الاجتماعي

لقد غيرت نهضة الإمام الحسين ﷺ من مفهوم التنشئة الاجتماعية لكي يتناسب مع حجم الحدث الحسيني واهميته ودورة في المجتمع، فالقائد الذي تزحف اليه الجموح من غير دعوة، وينتصر بدمه على السيف، ويصبح خالداً في التاريخ الإنساني ما حيينا لا بد لأبناء المجتمع كافة من استلهام العبر والدروس من خلال مسيرة هذا القائد وهذه النهضة والتي تعتبر الإطار العام للمسلمين في بقاع الأرض المختلفة، والتي تعتبر أيضا أحد أهم أسباب تماسكه

المجتمع ووحدته في أيام الأزمات، وذلك من خلال إقامة الطقوس الحسينية والولائم التي تجمع كافة أطياف المجتمع وبها تتوحد الأجساد والقلوب وتتماسك المجتمعات من خلالها، كما لا بد من نبذ كل ما يخالف فكر الإمام من تطرف وتنشئة طائفية وسلوكيات غير رشيدة، التي نراها هذه الأيام وبإشكال مختلفة وبطرق يتفنن بها الكثير، والتي غالباً ما تصدر عن جهل وقصور في الرؤيا، فشهر محرم الحرام الذي قدم فيه الإمام الحسين عليه السلام روحه الطاهرة من أجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الحق، لا يمكن استذكاره واختصاره ببعض الطقوس التي تعود على إقامتها أبناء المجتمع منذ أقدم الأزمان، نحن بحاجة إلى فعل حسيني وثورة حسينية على الذات نعود من خلالها إلى طريق الحسين لكي نسمو ونعلو بالقيم الحسينية ونعبر بها إلى شاطئ الأمان ونجعل من محرم الحرام نقطة انطلاق حقيقية لإصلاح أنفسنا وإصلاح مجتمعنا وتطوير تلك الطقوس بما يتناسب والتقدم الحاصل في كافة المجتمعات، والاهم بما يتناسب مع أهمية الحدث وقدسيته لدى جميع أفراد المجتمع.

وبهذا قدمت النهضة الحسينة درساً في التربية هدفه تعديل وتغيير سلوك الافراد بما يتناسب مع اهداف ومبادئ الثورة الحسينية، وخلقت تفاعلاً اجتماعياً بين الافراد في المواقف المختلفة، خصوصاً في شهر محرم الحرام الذي يكون فيه التفاعل الاجتماعي في اعلى مراحله وبين فئات المجتمع المختلفة، ويظهر بصور مختلفة وحسب الأدوار التي يقوم بها الافراد والمراكز التي يتواجدون بها.

٢-التغير السياسي

نتيجة للأزمات السياسية التي كانت تعصف بالمجتمع، وكما قال الإمام الحسين « لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وانهي عن المنكر ... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» فقد أوضح بهذه الكلمات البليغة الإمام الحسين عليه السلام الهدف من ثورته، وهو السعي من أجل تحقيق الإصلاح الشامل في الأمة، ومنه الإصلاح السياسي، وليس تحقيق أية مصالح شخصية، أو السعي من اجل استلام السلطة، إذ كان الإمام

الحسين ﷺ يعلم بأنه سيقتل في المعركة، ومن هنا تبرز عظمة الإمام الحسين ﷺ، حيث أنه ضحى بنفسه وبأهله من أجل تحقيق الأهداف السامية المتمثلة في الإصلاح والتغيير الشامل، والقضاء على الفساد السياسي، ونشر القيم والمبادئ والمثل. كما أن أهم درس يجب أن نتعلمه من نهضة الإمام الحسين ﷺ هو الاستعداد لتقديم كل غال ونفيس من أجل الإصلاح في الأمة، فالإصلاح لا يمكن تحقيقه بالأماني والأحلام، وإنما يحتاج إلى إرادة وعزيمة، وعمل دائم، ونشاط مستمر، واستعداد للتضحية بمختلف أشكالها من أجل الوصول إلى الإصلاح الشامل في الأمة.

لقد خرج الإمام الحسين ﷺ لكي تقام دولة العدل الاجتماعي وعدم الرضوخ للحكام المستبدين والسير ضمن نطاق الحرية والتغيير والعدالة الاجتماعية واحترام مكانة الإنسان، فلا يمكن تحقيق أي أصلاح سياسي إلا من خلال التغيير سواء كان تغيراً جذرياً أو جزئياً، فما كان خروج الإمام الحسين ﷺ إلا بسبب ما تفشى في المجتمع من فساد وفوضى وإهمال، فضلاً عن تغليب المصالح الخاصة على المصلحة العامة، كما أن هناك مبدأ مهماً في فكر الإمام الحسين ﷺ، وهو من مبادئ أي عملية إصلاحية وخصوصاً السياسية، هو إعلاء مبدأ (الحرية) باعتبارها الوسيلة المهمة لتحقيق إنسانية الإنسان، وبها يستطيع التعبير عن آرائه وأفكاره ووجوده. لقد كان الإمام الحسين ﷺ كثيراً ما يركز على أهمية التحرر من الذل والقهر إذ يقول ﷺ (لا.. والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)، ولهذا كانت ثورة الإمام الحسين ﷺ التي بها نهتدي ونقتدي لكي تكون لنا وللجميع نقطة انطلاق لأي عملية إصلاحية بغض النظر عن الزمان أو المكان ولجميع المجتمعات.

٣-التغير الاقتصادي

من أهم أسباب ثورة الإمام الحسين ﷺ هو التدهور الاقتصادي الذي كان سائداً في المجتمع آنذاك، وانتشار الفساد بإشكالها المختلفة، فقد انهار اقتصاد الأمة الإسلامية الذي هو شريان الحياة الاجتماعية، وازداد الثراء الفاحش لحكام ذلك الزمن، ونهبوا الخزينة المركزية للدولة والتي هي أموال المسلمين، وتكدست في بيوتهم الأموال وحاروا في صرفها، وكان من

نتيجة ذلك انتشار الفقر والبطالة وغيرها من الظواهر الاجتماعية غير المرغوبة، والتي كانت سبباً لكي يثور الإمام الحسين عليه السلام من أجل إصلاح الوضع الاقتصادي والقضاء على الفقر، وتوزيع الثروات بشكل عادل بين المسلمين.

واليوم ملامح التخلف الاقتصادي وتدهور المستوى المعاشي نستطيع أن نلتمسه ونحن نرى أفواجاً من المتسولين، ومن العاطلين، وأزمات اقتصادية مختلفة، مع انتشار غير مسبوق للفساد الإداري بجميع مفاصل الدولة، وكما هو واضح من بيانات منظمة الشفافية الدولية التي تصدر نهاية كل عام حول مؤشرات قياس مدركات الفساد في بلدان العالم المختلفة، ويأتي فيها العراق ضمن الخمس دول ذات الأعلى فساداً في العالم، ولا يضاهيه عربياً إلا السودان وحسب قائمة منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٣، وكذلك للسنوات التي مضت، فطريق الحسين وحب أهل البيت لا يمكن أن تُجمع في قلب مسلم يتعاط الرشوة، أو مسؤول عن تجويع وتهجير الملايين من أبناء المجتمع العراقي، ودولة الحسين هي دولة العدل والرفاهية الاجتماعية وعدم التمييز بين مناصر أو مهاجر، لا دولة الحزب الواحد، ولا دولة أفواج من الشباب العاطلين عن العمل. المهم هو استذكار العبر من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ونصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم مهما كان، والاقتداء والاهتداء بقيم ومبادئ الحسين فهي الطريق الأقصر والأسرع للانتعاش الاقتصادي، ودفع عجلة التنمية في المجتمع إلى الأمام من أجل تحقيق التنمية والرفاهة الاجتماعي وتحقيق دولة العدالة الاجتماعي التي أهم عوامل قيامها هو التوزيع العادل للثروات بين الافراد ورفع مستواهم المعاشي.

٤-التغير الثقافي

يعتبر ظهور الإسلام أكبر تغير ثقافي في حياة المجتمع العربي والإسلامي فيما بعد، وفي شتى نواحي الحياة، ومن أبرز مظاهر الإسلام وانتشاره هو النهضة الحسينة ودورها الكبير في التغير بشكل عام والثقافي خاصة، فقد غيرت وعدلت العديد من المفاهيم التي كانت سائدة في المجتمع، واليوم تعد الشعائر الحسينية والطقوس الدينية أحد مظاهر هذا التغير التي تظهر بشكل كبير في شهر محرم الحرام.

الخاتمة

تعُّد نهضة الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاحية في مجالات الحيات كافة، وتجربة عالمية وكونية مستمرة وممتدة منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى قيام الساعة، وتجربة تستطيع المجتمعات كافة الاستفادة منها وتطبيقها من أجل نهضة مجتمعاتها، فلم يكن من احد وعبر التاريخ أن يمحو ألأثر الحسيني من أذهان البشرية، وبالأخص معركة ألطف الدامية، معركة انتصار الدم على السيف، التي تبقى نقطة الدم الثائر في حياة الإنسانية، ووصمة عار تلاحق الظالمين في كل زمان ومكان، لان تلك الثورة التي ما زال صدى كلمات قائدها الإمام الحسين عليه السلام يدوي وينادي «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي، فيا سيوف خذيني». أن الإمام الحسين عليه السلام مشروع سلم وسلام ومنهج يضيء الدرب وسارية راية الحق في كل ارض طاهرة، ومن نهضة الإمام الحسين تحتفظ الأمم بكرامتها، وبشموخها، وعزها، ومجدها، فالفكر الحسيني خارطة طريق لجميع المجتمعات لتحيا بكرامة وتنهض بأبنائها من خلال السير على ما ورد في فكر الإمام الحسين عليه السلام، من دعوات إلى الإصلاح والتغير الاجتماعي بأشكاله كافة، ضد الظلم والطغيان والفساد. كما إن أهم درس يجب أن نتعلمه من نهضة الإمام الحسين عليه السلام هو الاستعداد لتقديم كل غال ونفيس من أجل الإصلاح في الأمة الإسلامية، فالإصلاح لا يمكن تحقيقه بالأماني والأحلام، وإنما يحتاج إلى إرادة وعزيمة، وعمل دائم، ونشاط مستمر، واستعداد للتضحية بمختلف أشكالها من أجل الوصول إلى الإصلاح الشامل في المجتمع، والإصلاح لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عملية التغير الاجتماعي والتي يعتبر الفرد مصدر قوتها واستمرارها، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اصعب أنواع التغيير هو تغير الفكر، وهذا احد أسباب استمرار نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتجددها في كل عام، لأنها استطاعت ان تغير فكر أمه بأكملها وتنقلها من الوهم إلى الحقيقة، ومن الظلام إلى النور، وأصبحت مصدر قوة وامان لأفراد المجتمع بألوانهم واطيافهم المختلفة.

الهوامش

١-احمد زايد، اعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٨.

٢-محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٤١٥.

٣-شارلوت سيمور سمث، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٥٠.

٤-كرين برنتون، دراسة تحليلية للثورات، ترجمة عبد العزيز فهمي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص٣.

٥-المعجم الوسيط، الجزء الأول، ط٣، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٤٠.

٦-أنظر الموقع الالكتروني التالي: http://www.moqatel.com

٧-احمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي المعاصر، الطبعة الثانية، دار المسيرة، الأردن، ٢٠١٤، ص٢٣٦.

٨-المصدر نفسه، ص٢٣٧.

٩-المصدر نفسه، ص٢٣٩.

١٠-بشير ناظر حميد، التحليل السوسيولوجي للأزمة دراسة تحليلية للأزمة الطائفية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٢، ص٤٩.

مفهوم الإصلاح في النهضة الحسينية وأهمية تطبيقه في التربية والتعليم

م. إنعام إسماعيل طاهر

جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية.

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ان من أهم ما يدعو اليه الأنبياء والرسل واهل البيت ﷺ هو إصلاح أحوال الناس والقضاء على الفساد بانواعه وقد تكرر موضوع الإصلاح في القران الكريم في سور وآيات عديدة، منها (سورة هود :٨٨) :

(إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

تعد ثورة الإمام الحسين ﷺ من اهم الثورات الإصلاحية التي حدثت في تاريخ الإنسانية. فثورته لم تكن لجمع المال والبحث عن السلطة والجاه والحكم بل كانت لطلب الإصلاح وضمان مبدأ حرية الإنسان وكرامته ليعيش حياة كريمة بعيدة عن الذل والهوان، يقول الإمام الحسين في وصيته لاخيه محمد بن الحنفية :

« واني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»

إن الإصلاح اصبح ضرورة ملحة في الوقت الحاضر وذلك بسبب انتشار الفساد والتدهور في العديد من مفاصل الدولة ، وان مؤسسات التربية والتعليم هي اكثر المؤسسات حاجة الى الإصلاح لانها المكان الاساسي والرئيسي الذي يتم فيه بناء الانسان واصلاح الفكر والسلوك.

يتناول البحث المباحث الآتية :

المبحث الأول : معنى الإصلاح لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم

المبحث الثالث : رسالة الإصلاح في النهضة الحسينية

المبحث الرابع: أهمية الإصلاح في المجال التربوي والتعليمي

المبحث الاول : معنى الإصلاح لغة واصطلاحا

تتفق معاجم اللغة على ان الصلاح ضد الفساد والإصلاح ضد الافساد [١] .

قال ابن منظورفي لسان العرب مادة (صلح) : الصلاح : ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحا وصلوحا ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في أعماله وأموره ، وقد أصلحه الله.

والإصلاح : نقيض الإفساد . والمصلحة : الصلاح ، والمصلحة واحدة المصالح . والاستصلاح : نقيض الاستفساد . وأصلح الشيء بعد فساده : أقامه . وأصلح الدابة : أحسن إليها فصلحت ، والصلح : تصالح القوم بينهم ، والصلح : السلم . وقد اصطلحوا وصالحوا وتصالحوا واصالحوا مشددة الصاد قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد . وقوم صلوح : متصالحون كأنهم وصفوا بالمصدر . والصلاح بكسر الصاد : مصدر المصالحة.

وصلاح : من أسماء مكة .

والصالح هو الخالص من كل فساد[٣]

والإصلاح هو تقويم وتغيير وتحسين[٤]

وقال ابن منظور في الفساد[٥]: الفساد نقيض الصلاح وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام، واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصى عليه، والمفسدة خلاف المصلحة ، والاستفساد خلاف الاستصلاح. ويقول أبو البقاء الكفوي في الكليات أن الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل. والصالح : المستقيم الحال في نفسه. وقال بعضهم القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد[٦].

والإصلاح هو القضاء على الفساد في الأجهزة الحكوميّة والمتناقضات في أهداف المؤسسات المختلفة ونظمها و الإصلاح الاجتماعي : مجموعة الأنشطة التي تهدف إلى إعادة التنظيم للمؤسسات الاجتماعية للوصول إلى مستوى أفضل من العدالة الاجتماعية[٧] .

فالإصلاح اصطلاحا يعني تقويم المعوج وازالة الفساد واقامة العدل وارادة الخير والاستقامة.

المبحث الثاني : مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هومنهج كامل للحياة يبغي ارشاد الانسان الى طريق الهداية والايمان والحق والصلاح والإصلاح ، يقول الإمام علي عليه السلام عن القرآن الكريم [٨]:

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأمم ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ. ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.»

لقد ورد مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم في آيات عديدة ويقترن هذا المفهوم الايجابي بعدد من المفاهيم الاخرى مثل الايمان والبر والتقوى والعفو والعدل ، فالإصلاح يتكامل ويتآلف مع كل شئ ايجابي وصحيح ونافع ويختلف مع كل شئ سلبي وسئ وفاسد:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الانعام: ٤٨)

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٤)

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ **اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الاعراف : ٣٥)

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(الاحزاب :٧٠-٧١)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى :٤٠)

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات :٩)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(الاعراف :٨٥)

ان الله سبحانه وتعالى يوفق ويساعد من يريد الإصلاح ولا يحب المفسدين ولا يصلح عملهم:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء: ٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(الاحزاب :٧٠-٧١)

والقول السديد هو القول القاصد الى الحق والعدل[٩]

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس : ٨١)

ان الله سبحانه وتعالى غفور رحيم فإنه يغفر للإنسان الذي يتوب ويصلح ويخلص دينه لله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء : ١٤٥-١٤٦)

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الانعام :٥٤)

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النحل :١١٩)

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة ١٠٢)

ان الله يعلم المفسد من المصلح ويعلم المنافقون الذين يدعون الإصلاح وهم بالحقيقة من المفسدين ويقومون بشرعنة الفساد:

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠)

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٨- ١١)

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود : ١١٧)

اما الفساد فانه يرتبط في القرآن الكريم بالفتنة والعلو والهلاك والطغيان والظلم والهلاك والفاحشة والمنكر والبغي والاسراف :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الانفال:٧٣)

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿القصص:٨٣)

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾(البقرة :٢٠٥)

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر : ٩-١٤)

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾(العنكبوت ٢٨- ٣٠)

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص :٧٦- ٧٧)

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾﴿المائدة:٦٤﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء: ١٥٠-١٥٢)

ان أساس الفساد ومصدره أعمال الناس أنفسهم[١٠]:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم :٤١﴾

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(الروم :٤٤-٤٥)

والله سبحانه وتعالى رحيم بالعباد فعندما يتعرّض العالم إلى الفساد والإندثار بسبب طغيان الطّواغيت والظلم ، فإنّ الله سبحانه تعالى يبعث من عباده المخلصين من يقف أمام هذا الطغيان والفساد ويكسر شوكتهم، وهذا من فضل الله تعالى على عباده ، والآيات الآتية هي بشرى للمؤمنين الّذين يحاربون الفساد والطاغوت ويقفون في مواجهة الظالمين وينتظرون فضل الله ونصره لهم[١١] :

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة : ٢٥٠-٢٥١)

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج ٣٩: ٤٠).

يقول السيد الطابطائي في تفسير الميزان[١٢]:

ان النبوة منذ أقدم عهود ظهورها تدعو الناس إلى العدل وتمنعهم من الظلم وتدعوهم إلى عبادة الله والتسليم له وتنهاهم عن اتباع الفراعنة الطاغين المستكبرين المتغلبين ولا تزال هذه الدعوة بين الأمم منذ قرون متراكمة جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة وإن اختلفت بحسب السعة والضيق باختلاف الأمم والأزمنة ... وأما القرآن فاستنهاضه الناس على الامتناع عن طاعة الافساد والاباء عن الضيم وإنبائه عن عواقب الظلم والفساد والعدوان والطغيان مما لا يخفى قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد (الفجر:١٤) وغيرها من الآيات.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾﴿الاعراف: ١٤٢﴾

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص : ٢٨)

ان سبب تدهور وضعف الانسان العربي بصورة عامة هو الابتعاد عن الدين وعن مبادئ الاسلام وعن القرآن الكريم .

تقول الدكتورة سهير السكري [١٣] انه تم اجراء بحوث في انكلترا وفرنسا لمعرفة اسباب قوة وصلابة الانسان العربي المسلم في السابق وتمكنه من فتح البلاد المحيطة ببلاده ووجد ان السر في ذلك يعود الى طريقة تعليم الطفل العربي فانه كان يحفظ القرآن الكريم كاملا قبل بلوغه السادسة ، والقرآن الكريم كتاب جامع لكل التراكيب اللغوية والصيغ البلاغية التي تنطبع في الذاكرة وهي تحميه من الوقوع في الازدواجية اللغوية وهي الضياع بين العامية والفصحى ، وكذلك فان حفظ القرآن الكريم يعطي الانسان طاقة نضالية ودعما ايجابيا وصلابة وصلة بالغيب ، ولذلك بدا الاستعمار بمحاربة تحفيظ القرآن الكريم في الدول المستعمرة وحرمان الطفل العربي من اكتساب ٥٠٠٠٠ كلمة والتي تعتبر من اهم مقومات قوته وهويته .

المبحث الثالث :رسالة الإصلاح في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

إن من أهم الاسباب التي ادت الى ثورة الحسين عليه السلام هو ما وصل اليه حال المسلمين من التردي عقائديا واخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وذلك بسبب السياسات التي ابعدت الامة عن مسار الاسلام الاصيل من خلال ممارسات معاوية التي بلغت ذروتها في فرض يزيد بالقوة خيفة على المسلمين، فهب الإمام الحسين عليه السلام بعدهلاك معاوية الى تفجير ثورته الكبرى التي ادت الى ايقاظ النفوس وتحريك ارادة الامة [١٤] .

ويمكن استخلاص الدوافع والاسباب التي ادت الى الثورةالحسينية من النصوص المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام والتي يمكن تلخيصها بكلماته التي خاطب بها جيش الحر بن يزيد الرياحي الذي تعجل لمحاصرته ولم يسمح له بتغيير طريقه قائلا:

« ايها الناس ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله . ألا وان هؤلاءقد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا احق من غيري، وقد اتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم ، وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فان تممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع انفسكم ، واهلي مع اهليكم ،فانكم في اسوة »[١٥] .

ولم تكن ثورة الحسين عليه السلام بسبب وازع ذاتي ولا مطمع شخصي وانما كانت هناك اسباب ودوافع تتعلق بمصير الامة الاسلامية ، ويمكن ايجازاهم اسباب ثورة الحسين عليه السلام بما يلي [١٦]:

١- فساد الحاكم والانحراف الشامل في زعامة الامة الإسلامية .

٢-مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام تجاه الامة فكان يمثل القائد الشرعي الذي يجسد كل القيم الانسانية الخيرة والاخلاق السامية ، واستجابة لرأي الرافضين لبيعة يزيد بن معاوية ولدعوة اهل الكوفة.

٣- تشويه القيم الاسلامية ومحاولة محو ذكر اهل البيت عليهم السلام .

٤- انتشار الظلم والقهر والعدوان وفقدان الامن في جميع انحاء البلاد .

٥-الغدر الاموي والتخطيط لقتل الحسين ع لانه كان يمثل بقية النبوة والشخصية الرسالية التي تدفع الحركة الاسلامية الى تطبيق نهجها الحقيقي و السير في طريقها الصحيح.

لقد تفانى الحسين عليه السلام في حب الله ومن اجل دينه فكانت اهدافه سامية جليلة وهي تمثل رضى الله وطاعته ، وتزداد هذه الاهداف رفعة وسموا حين تنبعث من عمق رسالة سامية حاملها يحمل ميراث النبوة وثقل الرسالة الخالدة[١٧]. واهداف ثورة الحسين عليه السلام واسعة وعديدة وليس من السهل معرفة كل هذه الاهداف ، ولكن من اهم الاهداف التي وردت في وصية الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من المدينة لاخيه محمد بن الحنفية هي الإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الإمام الحسين عليه السلام في هذه الوصية[١٨] :

«هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية ، إن الحسين يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده ، وان الجنة حق والنار حق' والساعة آتية لا ريب فيها ' وان الله يبعث من في القبور ، واني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما ' وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين» .

ان الإصلاح المقصود هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل جوانب الحياة الدينية والدنيوية.

لقد عاصر الحسين عليه السلام جده رسول الله صلى الله عليه وآله وعاش في كنف الوحي والرسالة وأيقن بضرورة الاهتمام برسالة جده ، ولذلك نجده يقف بكل شجاعة امام التآمر على الدين ويضحي باغلى ماعنده من اجل احياء شريعة جده سيد المرسلين محققا شهادة جده الخالدة (حسين مني وانا من حسين) [١٩] وملبيا دعوته صلى الله عليه وآله :

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

ان الله سبحانه وتعالى يصف الذين يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأنهم المفلحون وانهم خير امة اخرجت للناس :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(ال عمران : ١٠٤)

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(ال عمران :١١٠)

المبحث الرابع : أهمية الإصلاح في الجانب التربوي والتعليمي

ان تطوراي مجتمع وتقدمه يعتمد على مستوى التربية والتعليم في ذلك المجتمع وذلك لان المدارس والجامعات هي المصنع الأساسي والرئيسي لبناء القدرات وتطويرالمهارات للافراد في المجتمع لذا فبناء الإنسان هو واجب مؤسسات التربية و التعليم اضافة الى الاسرة، والطالب يعتبر طاقة تستطيع هذه المؤسسات توجيهها تربويا وعلميا بالاتجاه الصحيح وجعله قادر على الانتاج والابداع والتطوير.

إن التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في العراق منذ الثمانينات إلى يومنا هذا والتي تشمل الحروب والحصارالاقتصادي والازمات والارهاب وعدم الاستقرار والهجرة وغيرها اثرت تاثيرا عميقا في الانسان العراقي ، وان الواقع المؤلم والمرير للمجتمع في ظل هذه الاوضاع ادى الى نشوء معوقات ومشكلات تقف بوجه تطوير المهارات وتحسين الاداء للطالب وللتدريسي وللمؤسسة بشكل عام وتجعل مخرجات التربية والتعليم تتميز بتفوق الكم على النوع ، وليس من السهل اعادة بناء الانسان العراقي ما لم تكن هناك رغبة حقيقية وصادقة عند اصحاب القراروذلك بوضع خطط واضحة ومنهجية علمية.

ولكي يتحقق الإصلاح في أي مؤسسة لا بد من ان يكون هناك دافع قوي للتغيير نحو الافضل واذا ارتبطت بدافع ديني وضمير انساني وواجب وطني اساسه الشعور بالانتماء للوطن وللمؤسسة التي نعمل بها كانت في مستوى يؤهلها لبناء مجتمع متحضر ومتطور .

ان مهنة التعليم تحتل مركزا مهما بين المهن الاخرى وهي تستلزم الامانة العلمية والعدالة في معاملة الطلاب بصرف النظر عن الاعتبارات الاجتماعية والمصالح الخاصة [٢٠] .

إن من أهم التغيرات التي تحدثها ثورة تكنولوجيا المعلومات على ثقافة التعليم هو تراجع دور الطالب التقليدي والتابع إلى السلطة الفوقية للأستاذ والكتاب وبداية التخلص من حالة النمطية الحاجرة على ملكات تشغيل الدماغ والتفكير التحليلي والإبداعي. إن حالة التغيير هذه تتطلب صحة نفسية وذهنية عالية وهذا يستوجب توفر استقلالية عالية وتحمل للمسؤولية وقوة في الشخصية وقدرة على اتخاذ القرار وإطلاق للطاقة الذهنية وحسن إدارة الوقت والتمتع بمهارات التعلم الذاتي والتعلم التفاعلي [٢١] وكل هذه العوامل ركنها الأساس **التفكير** والعناية بتدريب العقول لتصل إلى أقصى طاقاتها في العطاء فضلا عن التركيز على البعد الأخلاقي والتربوي والإنساني للمؤسسات التعليمية في ظل عصر المعلومات.

إن تدني مستوى خريجي الجامعات والمدارس الإعدادية له أسباب عديدة ومن أهم هذه الأسباب هو عدم العناية بتنمية ملكة التفكير لدى الطالب ، ولأهمية التفكير بالنسبة للطالب فان الدول الغربية تدّرس مادة تعلم التفكير ومهاراته في المدارس والجامعات [٢٢].

ان جودة مخرجات التعليم العالي تعتمد على جودة أداء الجامعة ، فكلما كان أداء الجامعة جيدا ومبنيا على أسس رصينة كانت المخرجات جيدة ولها دور فعال في بناء الوطن وتقدمه علميا واقتصاديا ، ان الجامعة المبدعة والجيدة لها سمات يمكن تلخيصها بالآتي [٢٣] :

١-امتلاك نظم تعليمية سريعة الاستجابة للتطورات التكنولوجية وفي مقدمتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .

٢-امتلاك مرونة عالية في إعادة تصميم مناهجها الدراسية وفق تلك التطورات.

٣-الاستجابة المرنة لمتغيرات الطلب على مخرجاتها لنوع وكم المعارف والمهارات ذات الصلة.

٤-القدرة على تقديم برامج خاصة لتلبية احتياجات موصوفة من المتعاملين والشركاء في العملية التعليمية (دول، شركات ، منظمات ، أفراد) في أكثر من موقع على وفق ما يحقق رغباتهم ويناسب احتياجاتهم.

٥-إمكان التحكم في أوقات تنفيذ البرامج التعليمية على وفق المواصفات المطلوبة لمستوى الإعداد المعرفي والمهاري لمخرجات التخصصات الجامعية المطلوبة .

٦-تقديم مناهج دراسية مناسبة لاتجاهات ورغبات المتعاملين بشأن المهارات التي يجدون فيها مطالبهم من حيث النوع والزمن المطلوب.

٧-استعمال معطيات تكنولوجيا المعلومات في تحقيق الارتقاء بأداء أعضاء هيئة التدريس والإداريين والفنيين.

إن مسالة إصلاح أنظمة التعليم وتوظيف الوسائل الالكترونية أهم تحد يواجه المؤسسات التعليمية في الدول النامية وهو ما يؤكد على ضرورة توظيف التعليم الالكتروني والتدريس الالكتروني لتطوير الأداء التعليمي الجامعي . ان الندوات والمؤتمرات الدولية حول التربية والتعليم في عصر المعلومات أكدت ان التكنولوجيا الحديثة ليست بالضرورة هي العلاج لكل المشكلات ، إلا أنها ترفع كفاءة وأداء المنظومات التربوية ان أحسن استعمالها من قبل أسرة التعليم[٢٤] .

ويقول الدكتور نوري جعفر ان الانسجام التام بين مؤسسات التعليم و مستلزمات القرن الذي نعيش فيه لايحصل على الوجه المطلوب عن طريق إجراءات مبعثرة تتعلق بتعديل مناهج الدراسة وأساليب التعليم حتى وان كانت تلك إجراءات حاسمة وجذرية إذا لم يرافقها تغيير جذري أيضا في العنصر البشري المتمثل في الكادر التدريسي الشاعر بمسؤولياته الاجتماعية والثقافية والقادر على انجازها بالشكل الصحيح من جهة وبموقع الطالب نفسه في العملية التعليمية من ناحية مساهمته الفعالة في استثمار نشاطه إلى حده الأقصى استثمارا نافعا له ولمجتمعه من جهة أخرى وهذا يتطلب بث الوعي التربوي في صفوف الطلبة منذ مرحلة الدراسة الثانوية عن طريق الندوات والمناقشات والمؤتمرات لتهيئة أذهان الطلاب وتكوين قدرتهم على اختيار ناجح للمهن التي تلائم كلاً منهم في المستقبل [٢٥].

وبالنسبة لعلاقة العلم والمعرفة بالاقتصاد فانه لا بد من الاشارة الى:

١-أهمية استعمال العلم والمعرفة لأغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأهمية تطبيق الأبحاث العلمية النظرية في المدى البعيد[٢٦] .

٢-أهمية الجانب السايكولوجي والاجتماعي في التنمية الاقتصادية إذ ان عملية الإنتاج المتطورة تستلزم استعمال أدوات وأجهزة تكنولوجية متطورة بقدر ما تستلزم تهيئة أدوات

بشرية متطورة من الناحية الثقافية و من ناحية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والقدرة على استعمال تلك الأدوات بكفاية ودراية والمحافظة عليها وإدامتها وتطويرها [٢٧].

لقد حققت اليابان اقتصادا قويا رغم نقص المصادر والثروات الطبيعية وحسب قول المتخصصين في اقتصاديات التعليم ان ذلك يرجع الى نظام التربية والتعليم فيها الذي حظي باهتمام كبير من التربويين في عدة اقطار بهدف الاستفادة من اساليبه والاسترشاد بتطبيقاته[٢٨].

ان نجاح المؤسسة التعليمية في اداء مهامها التربوية والتعليمية على افضل وجه لا يتوقف على مجرد تجهيزها باحدث الادوات والمختبرات العلمية والابنية والاثاث على اهميتها وانما يمتد ايضا وبالدرجة الاولى الى تزويدها بالعنصر البشري الكفوء علميا ومهنيا والمخلص في اداء واجباته لان مخرجات المؤسسة التعليمية لا ترتبط بجودة السلع لاغراض الاستهلاك (كالمعمل) وانما ترتبط ببناء الانسان والمواطن الصالح والكفوء والقادر على بناء وطنه ومواجهة جميع التحديات[٢٩] .

ان تدني المستوى العلمي لخريجي الجامعات في العراق (الدراسات الأولية والعليا) يعود للأسباب الآتية:

١-عدم العناية **بتنمية ملكة التفكير** لدى الطالب ، إذ ان الطالب يتبع أسلوب الحفظ دون فهم واستيعاب المادة فهو يقرا للنجاح في الامتحان فقط ويتخرج ومعلوماته ضعيفة ، وللتفكير مهارات عديدة يمكن اعتمادها في التدريس لتمرين الطالب على كيفية التفكير منها : المقارنة ، التلخيص، الملاحظة ، التصنيف ، التفسير ، البحث عن افتراضات ، التخيل، ونقل الخبرة من موقف إلى آخر [٣٠].

٢-ضعف المستوى العلمي والفكري للتدريسي والطالب فضلا عن ضعف المادة العلمية.

٣-عدم جودة أساليب القبول في الجامعات العراقية.

٤-انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية في المدارس الابتدائية والثانوية مما يجعل الطالب يكمل الدراسة الثانوية وهو لا يعرف كيف يفكر.

٥-الفجوة بين مخرجات التعليم العالي وسوق العمل فهناك كم بلا نوع وتلقين دون إبداع .

توجد هناك العديد من الظواهر السلبية في مؤسسات التعليم العالي وسببها الفساد الاداري وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم الاخلاص في العمل وعدم استغلال اوقات الدوام الرسمي بصورة صحيحة ، ومن اهم هذه الظواهر **هو تأخر الاجراءات الادارية** التي تخص التدريسي والطالب بصورة خاصة مثل معاملات الترقية العلمية، اقرار الموضوع بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، ترقين القيد ، الاجازات المرضية وغيرها من المعاملات، حيث تستغرق بعض هذه المعاملات اشهر عديدة واحيانا ما يقارب السنة لحين اصدار الامر الجامعي في بعض الجامعات.

وفيما يتعلق **بالترقيات العلمية** فانه لا توجد عدالة في تقييم بعض الخبراء للبحوث حيث ان بعض البحوث المقدمة للترقية يتم رفضها من بعض الخبراء بدون سبب علما انها منشورة في مجلات رصينة ومحكمة وتم تعديلها قبل النشر بعد عرضها على خبراء المجلة.

وفيما يتعلق **بالايفادات** في بعض الجامعات فان بعضها لا جدوى ولا فائدة منه سوى صرف الاموال في غير محلها وغياب الموفد عن عمله مما يؤدي الى تأخر العمل ، وبالنتيجة فهو نوع من الفساد المالي والاداري والعلمي . ان الايفاد هو من برامج التطوير والغرض منه هو تطوير مهارة الموفد ليواكب التقدم والتطور الحاصل في بلدان العالم .

وبالنسبة **للدراسة المسائية** فان معدل القبول ٦٠٪ ولا تؤخذ درجة الاختصاص بنظر الاعتبار (اللغة الانكليزية ، اللغة العربية ، ...) عند التوزيع على الاقسام في بعض الكليات مما يؤدي الى ضعف مستوى الخريجين. ومما تجدر الاشارة اليه ان اكثر حالات الغش والمحسوبية تكون في الدراسة المسائية والاهلية.

الخاتمة والتوصيات

ان الله سبحانه وتعالى يدعوالى الإصلاح من اجل تعزيز القيم الانسانية والاخلاقية السامية في النفس الانسانية ، يدعو الله سبحانه وتعالى الى الإصلاح ومحاربة الفساد ورفع الظلم والاستقامة والعدل والايمان والعفو والتقى ، يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ان موضوع الإصلاح من المواضيع المهمة والضرورية وخاصة في المجال التربوي والتعليمي .

التوصيات الخاصة بالتعليم الابتدائي والثانوي

١-التركيز على حفظ القرآن الكريم في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية

٢-اضافة مواد الى مناهج المدارس الابتدائية والثانوية تنمي ملكة التفكير لدى الطالب مثل مادة برمجة الكومبيوتر

٣-اضافة مادة منهجية البحث العلمي الى مناهج المدارس الثانوية

التوصيات الخاصة بالتعليم الجامعي

١-اضافة بعض المواد المهمة الى مواد دورة طرائق التدريس والتي يجب ان يكون التدريسي متمكناً منها وهي مادة ادارة القاعة الامتحانية ومادة اعداد الاسئلة الامتحانية ومادة منهج البحث

٢-يتم التركيز في مادة التربية الإسلامية على آيات الإصلاح والفساد في القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهج اهل البيت عليهم السلام

٣-اضافة مادة التنمية البشرية الى مناهج الجامعات ومنها كتب الدكتور ابراهيم الفقي التي تعلم استراتيجات التفكير وكيفية ايقاظ القدرات لدى الطالب

٤-يتم فتح مكتب استشاري في الجامعة للمتقاعدين من التدريسيين في كافة الاختصاصات للاستفادة من خبراتهم العلمية والعملية ولإشعارهم بأهميتهم[٣١] .

٥-ان يقوم التدريسي في بداية العام التدريسي بكتابة تعهد يتعهد فيه أن يقوم بعمله بإخلاص وامانة ونزاهة وان لا يتاثر بالمحسوبية والمنسوبية وان يكون عادلا في تعامله مع جميع الطلاب وبخلافه يتم حرمانه من التدريس وقطع المخصصات الجامعية

٦-ان يقوم التدريسي بكتابة اقرار عند تقديم معاملة الترقية للحصول على اللقب العلمي يؤيد فيه ان البحوث المقدمة غير مستلة من رسائل واطاريح لباحثين اخرين ولا من رسالته وغير مستلة من الانترنيت (اكثر من النسبة المسموح بها).

٧-ان يتم وضع سقف زمني لاكمال المعاملات الادارية والتي تشمل معاملات الترقية ، معاملات اقرار الموضوع بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، معاملات ترقين القيد ، الاجازات المرضية وغيرها من المعاملات الاخرى، ويكون ارسال البريد عن طريق التقنيات الحديثة لسرعة الانجاز

٨-ان يتم ارسال البحوث المقدمة للترقية الى الخبراء بواسطة التقنيات الالكترونية الحديثة من اجل سرعة الانجاز وان يتم يتم توجيههم بضرورة الالتزام بالنزاهة والامانة والعدالة والجدية والابتعاد عن المحسوبية والمزاجية في تقييم البحوث.

٩-وضع الرقابة على الايفادات ومتابعة نتائجها في تطوير العمل والمؤسسة.

١٠-رفع معدل القبول في الدراسة المسائية والأخذ بنظر الاعتبار معدل مادة الاختصاص عند التوزيع على الاقسام.

١١-تحديد يوم لدوام طلبة المرحلة الأولى في كافة الجامعات؛ لان دوامهم يتأخر في بعض الجامعات الى ١٤/ ١٢ ولا فائدة من تأجيل امتحاناتهم بسبب انشغال التدريسيين والقاعات بامتحانات المراحل الاخرى .

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإصلاح أنفسنا وإصلاح الآخرين ... ومن الله التوفيق.

الهوامش

١-تاج العروس ، لسان العرب ، مختار الصحاح ، المعجم الوسيط ، الصحاح في اللغة
http:/ / /com.maajim.www /dictionary /

٢- لسان العرب / المجلد الثامن / مادة صلح

٣- التعريفات : ١١٢

٤- معجم المعاني الجامع http:/ / /com.almaany.www /dict /ar /ar-

٥- لسان العرب/ مادة فسد

٦- الكليات : ٥٦١

٧- معجم المعاني الجامع http:/ / /com.almaany.www /dict /ar /ar-

٨- شرح نهج البلاغة / الجزء التاسع / الخطبة ١٥٩ وفي بعض المصادر الخطبة ١٥٨

٩- الزمخشري : ٨٦٦

١٠- الشيرازي: ١٢/ ٥٤٥

١١-نفس المصدر السابق : ٢/ ٢٢٨

١٢- تفسير الميزان: ٣/ ١٤٧ -١٤٨

١٣- الدكتورة سهير السكري / علم اللغويات في جامعة جورج تاون الاميركية / تذكر ان هذه الحقيقة موجودة في كتاب Militant Islam للكاتب الانكليزي Godfrey H. Jansen

١٤-اعلام الهداية: ٩٤

١٥- نفس المصدر السابق : ١٣٦-١٣٧

١٦- نفس المصدر السابق : ١٣٦-١٤٤

١٧-نفس المصدر السايق : ١٤٣-١٤٤

١٨- نفس المصدر السابق :١٣٣-١٣٤

١٩- نفس المصدر السابق: ٢٢٣

٢٠- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية :٢٣-٢٤

٢١- نفس المصدر السابق ٨٢

٢٢- فن التفكير : ٦-٧

٢٣- الإعلام والتعليم في ظل ثورة الانترنيت : ٤٨-٤٩

٢٤-نفس المصدر السابق٨٨-٨٩

٢٥- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية : ٢١- ٢٣

٢٦- نفس المصدر السابق ٢٤

٢٧- نفس المصدر السابق ٤٤-٤٥

٢٨- الإعلام والتعليم في ظل ثورة الانترنيت :٥٤

٢٩- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية : ٢٤
٣٠- فن التفكير : ١٨-٢٣
٣١-لا بد من الاشارة وللامانة ان مقترح اضافة مادة ادارة القاعة الامتحانية ومقترح فتح مكتب استشاري للمتقاعدين قدمهاا مشكورا الدكتور الفاضل صالح مهدي صالح مدير مركز ابحاث الطفولة والامومة في جامعة ديالى والباحث ضمنها في البحث لانه يؤيد المقترحين.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، المتوفى ٦٤٣ هـ . (٢٠٠٥) . لسان العرب . المجلد الثامن . بيروت : دار صادر.

*ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسين ،ت ٦٥٦ هـ .(١٩٦٥). شرح نهج البلاغة .الجزء الثالث . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مصر: دار إحياء الكتب.

*الأميري ، الدكتور احمد البراء . (٢٠٠٥). فن التفكير . الرياض، : مكتبة العبيكان.

*جعفر ، الدكتور نوري . (١٩٨٣). دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية. العراق: منشورات الثقافة والإعلام / السلسلة الجماهيرية.

*الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف . (١٤٠٥). التعريفات . تحقيق ابراهيم الابياري . بيروت : دار الكتب

*الزمخشري ،الأمام جار الله محمود بن عمر ، المتوفى ٥٣٨ هـ . (٢٠٠٢). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل بيروت : دار الكتاب العربي .

*الشيرازي، ناصر مكارم . الامثل في تفسير كتاب الله المنزل . قم: مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام

*الطباطبائي، السيد محمد حسين. ١٣٤٢هـ . الميزان في تفسير القرآن.الجزء الثالث.

* قوي ، الدكتور بوحنية . الإعلام والتعليم في ظل ثورة الانترنيت .(٢٠١٠). الأردن : دار الراية للنشر والتوزيع.

*الكفوي ، ابو البقاء ايوب بن موسى ، المتوفى ١٠٩٤هـ . الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية .تحقيق عدنان درويس ومحمد المصري . بيروت : مؤسسة الرسالة.

*المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام . ٢٠١٠م / ١٤٣١هـ . اعلام الهداية . لبنان : المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت .

*http//:www.almaany.com/ar/dict/ar-

*http://www.babnet.net/festivalde-tail-124136.asp

*http://www.maajim.com/dictionary

*http://www.ruqayah.net/books/?id=700

*http://shiaonlinelibrary.com